الكل يُطلق النار على السوريين وثورتهم

الدكتور عزت السيد أحمد

ALL SHOOTS
ON SYRIANS AND
THEIR REVOLUTION
Historical And
Political Study
By Prof. Dr.
Ezzat Assayed Ahmad

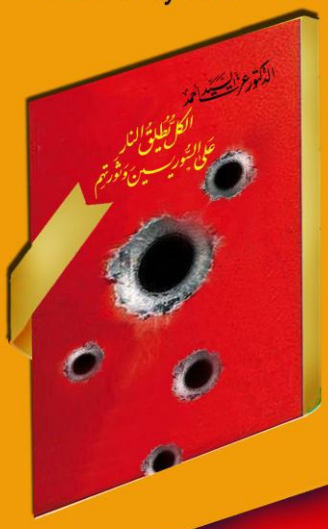

دراسات سياسية

2015

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

الكل تطيق النار على السورين وثورتهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

الكل يطلق النار على السوريين وثورتهم

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

☆ الكتاب : **الكل يطلق النار علىٰ السوريين وثورتهم قراءة وسياسية.**

☆ الموضوع: **دراسات سياسية.**

☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد.**

☆ عدد الصفحات: ١٣٠ صفحة.

☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.

☆ النَّاشر: **العالم العربي للنشر.**

☆ **عمان.**

☆ الطبعة الأولى: **٢٠١٥م.**

☆ **تاريخ: ٢٠١٥/٩/١ م.**

☆ تصميم الغلاف بريشة بيلسان.

☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**

تمنع طباعة هٰذا الكتاب أو نشره، أو فصل منه، من دون موافقة خطيَّة من النَّاشر أو المؤلف. ويجب مراعاة أصول الاقتباس والتوثيق لدى اقتباس أي نصوص أو شواهد من الكتاب.

☆ بريد إلكتروني : **sameah3@gmail.com**

الإهداء

إلى الثورة السورية

التي عمّرت الجميع تماماً

مُقدِّمة الكتاب

كلما قلنا كل الناس يفعلون كذا أو لا يفعلون كذا تتنطوط شياطن الإنس تبكيتاً وشكونة واعتراضاً واحتجاجاً وتذمراً ويزيدون في الطنبور نغماً بالفهمنة والفصحنة وهم لو نفخت عليهم نفخة وجدت العاهات محشورة تحت أثوابهم حشراً.

الأمر لا يتعلق بالشهادات والعلم وهلم جرًّا. أبداً، الأمر أمر طبيعة لا شهادات فكما تجده بينهم أواسط الناس وأدناهم تجده أكثر بَيْنَ حملة الشهادات من مختلف الدَّرجات.

يقولون: مستحيل كل الناس، معقول أن يكون كل الناس؟!

طبعاً غير معقول أن يكون الكل، وطبعاً مستحيل أن يكون الكل في مثل هٰذه الأحكام غير الإحصائيَّة. الأحكام التَّعميميَّة تعميميَّة بالعادة من جهة، وبالأكثريَّة من جهة ثانية... عندما يكون أكثر الناس في قرية مثلاً كاذبين نقول: كل أهالي القرية كاذبين ونحن لا نعني الكل إحصاء ولا بالمطلق، وعندما يكون أكثر أهالي قرية ما بخلاء نقول أهالي قرية كذا بخلاء ونحن أيضاً لا نعني كلهم بالإحصاء ولا بالمطلق... فمن غير الوارد أن نقول إنَّ ٧٣,٢٦ بالمئة من أهالي القرية بخلاء أو كرماء أو كاذبين...

لا أطيل في ذَلكَ وهو أمر لا يستحق الكثير من الإطالة.

عندما أقول الكلُّ فالكلُّ لا يعني المطلق... ولٰكنَّ الطَّريف أنَّ الكل هنا يكاد يدنو من المطلق. الكل الذي يطلق النار علىٰ السُّوريين وثورتهم يكاد يكون بالمطلق لولا قدر إلٰهي ترك لهم منفساً ضيقاً ومحدوداً.

لا تنخدعوا بالبهرجات والاستعراضات والوقفات المعسولة والتَّصريحات الصفراء التي تصدر من هنا وهناك من قريب أو بعيد... في أي شيء؛ في زعم الدَّعم، في استقبال اللاجئين في أوروبا... كله كذب وخداع وتضليل واستنزاف لسوريا، ودفعها لمزيد من القتل والدمار والتَّشريد.

هٰذا الكتاب جزء من سلسلة المؤامرة الكونيَّة علىٰ سوريا والسُّوريين والثَّورة السُّوريَّة، منها الكتاب الذي حمل العنوان ذاته الصدر العام الماضي ٢٠١٤م، ومنها الغرب الجاني علىٰ نفسه، والموقف الأمريكي من الثَّورة السُّوريَّة...

يمتاز هٰذا الكتاب عن غير في السياق بأنَّ موضوعاته أكثرها كانت مخصوصةً لمحاربة السُّوريين أنفسهم مباشرة؛ لاجئين ومشردين في الداخل والخارج، وليس لمحاربة الثَّورة فقط، الأمر الذي برز بوضوح في هٰذا العام، ولم يكن خافياً أصلاً منذ بدايات الثَّورة، وقد أشرت إلىٰ ذَلكَ في الكتب الأُخْرَىٰ التي صدر العام الماضي.

وفي هٰذا السياق أيضاً لا جديد في هٰذا الكتاب من جهة المبدأ والجوهر، هو امتداد للمؤامرة الكونيَّة علىٰ سوريا والثَّورة السُّوريَّة. ولذٰلك ختمت عام ٢٠١٤م بمقال قصير جدًّا تحت عنوان خلص الكلام.

أختم هٰذه المقدِّمة بهٰذا المقال؛ «خلص الكلام»، الذي أعدتُ نشره وتوضيحه في الخامس من الشَّهر الأوَّل من هٰذا العام، كتبت:

عندما كتبت: خلص الكلام

عنيت أنَّ كلَّ ما يجب أن يقال قد قيل.

وكرَّرته الأقلَّ أهميَّة مرَّاتٍ عدَّة، والمهمُّ منه كرَّرته بأكثر من أسلوبٍ كثيراً من المرَّات...

وما تبقَّىٰ ليس إلا تنويعات علىٰ ما قد سبق...

وظلَّ النِّظام وورثة الثَّورة ماضون في القتل والتَّدمير والتَّشريد...

قاتلهم الله جميعاً وخلصنا منهم جميعاً.

وحَتَّىٰ هٰذا الكلام قلته منذ نحو عامين مرَّاتٍ عدَّة.

والحقيقة الأكيدة هي أنَّ كلَّ ما يتعلَّق بالثَّورة من مختلف الجوانب والعلاقات والتَّفاصيل والآفاق قد قلته في السَّنة الأولىٰ من الثَّورة وقد نشرته في سلسلة كتب في العام الماضي تحت عناوين مختلفة تبعاً للموضوع، وكل ما كان بعد ذٰلكَ هو إعادة تذكيرٍ وتكرارٌ بأساليب أُخْرَىٰ وتحققات للتوقعات.

ووصلنا إلىٰ ما حذَّرت منه مراراً وتكراراً وهو الفوضى وفقدان السَّيطرة. نحن الآن في مرحلة فقدان السَّيطرة علىٰ أيِّ شيء ...لا أحد يسيطر علىٰ شيء في سوريا... ومصائب أُخْرَىٰ قادمة ستزيد الأمر تعقيداً من جهة وستفجر الوضع أكثر، إذا تدارك العابثون الأمر سيولد أفق الحل أولاً ثم ربما الحل... وإلا ستولد مأساةٌ أكبر وأشدُّ وأوسع مدًىٰ بكثيرٍ مما هي عليه بل ومما يتوقعه الأكثر تشاؤماً.

إنَّ استمرار محاصرة الشَّعب السُّوري ومحاربته ومحاربة ثورته بهٰذه الطريقة البشعة القميئة أو بأي طريقة غيرها لن يؤدِّي إلا إلىٰ زيادة تعقيد الأمور وخطورتها علىٰ مستوى المنطقة والعالم. هٰذا ما سيفتح أبواباً غير مفتوحة من الاحتمالات غير المحتملة.

من غير الممكن تصور أنَّ هٰذا الإجماع أو شبه الإجماع العالمي علىٰ مستوى الأنظمة السِّياسيَّة تحديداً علىٰ محاصرة الشَّعب السُّوري ومحاربته وتفريغ سوريا من السُّوريين قد كان مصادفة عجيبة أو غريبة.

كان يمكن القبول بأنه مصادفة من أي نوع لو أنَّهُ كان أقل من ذٰلكَ، أو تحت ظرف ما من تاريخ الثَّورة الممتد حَتَّىٰ الآن علىٰ مدار نحو خمس سنوات... ولٰكنَّهُ كان منذ انطلاقة الثَّورة عامَّة ومنذ بداية اضطرار السُّوريين للهروب من سوريا والهروب من مناطقهم في سوريا إلىٰ مناطق أُخْرَىٰ. في الجهتين معاً: تخاذل صريح واضح، وتآمر صريح واضح، وعداون صريح واضح علىٰ الشَّعب السُّوري.

تذكروا أنَّ الثَّورة السُّوريَّة قلبت موازين الاتحاد الأوروبي وأدت إلىٰ أزمة بَيْنَ الدول الأوروبيَّة واحتمال نسف الاتحاد وإغلاق الحدود بَيْنَ الدُّول الأوروبيَّة التي لم تغلق يوماً من الأيام حَتَّىٰ قبل الاتحاد الأوروبي...

تذكروا أنَّ الدُّول العربيَّة قاطبة التي لم تكن تطلب تأشيرة دخول للسُّوري صارت تمنعه من الدُّخول بتأشيرة أو غير تأشيرة، والتي كانت تطلب التَّأشيرة تحاصر السُّوريين برعب الطرد وتمنعهم من أي حركة لها علاقة بالثَّورة أو تأييدها من قريب أو من بعيد... بل حَتَّىٰ التَّعاطف مع السُّوريين المشردين بتبرع صغير يعرض المتبرع للطرد من الدَّولة. بل أكثر من ذٰلكَ تجمع التَّبرعات للسُّوريين في دول الخليج وتدفع للحشد الشَّعبي الشيعي في العراق الذي يأتي إلىٰ سوريا ويقتل السُّوريين!!! مصيبة السُّوريين كبيرة وخطيرة. وكفى.

الفصل الأول

مصائب الثورة السورية الخمس

مع دخول الثَّوْرَة السُّوريَّة عامها الخامس[1] في ظاهرةٍ تاريخيَّةٍ شبه غير مسبوقةٍ في تاريخ الثَّورات في العالم المعاصر والوسيط والقديم من يوم آدم إلىٰ يومنا هٰذا. مع هٰذا المعطىٰ التَّاريخي نلقي ضوءاً علىٰ مصائب الثَّوْرَة السُّوريَّة منذ انطلاقتها إلىٰ دخولها عامها الخامس.

من باب سهولة الأمر بعد إدراكه سيقول الكثيرون نعرف هٰذه المصائب، وبعضهم سيقول نعرفها منذ زمنٍ بعيدٍ. ومحض مثل هٰذا

(١) .كتب هٰذا المقال في ٣/١٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها، ونظراً لدخول مادة هٰذا الفصل/ المقال في أكثر من كتب من سلسلة كتب تتبع الثورة في مختلف أبعادها فقد تم إدراجه فصلاً أولاً في هٰذه الكتب وهي: الثورة السورية والحلول التهريجية، الثورة وأزمة القيادة، الكل يطلق النار علىٰ السوريين وثورتهم.

التَّعليق يدلُّ علىٰ سوء تقدير استمراراً لسابق سوء الفهم والتَّقدير، وخاصَّة إذا صَدَرَ عن قيادات ثوريَّة من أيِّ نوعٍ أو مستوى، وخاصَّة أيضاً إذا صدر عن الذين رافقوا الثَّوْرَة علىٰ الفضائيَّات تحليلاً وتنظيرا علىٰ مدار السَّنوات الأربع المنصرمة. لأنَّ السُّؤال الذي سَيَسْفَعُ تعليقهم علىٰ الفور هو:

. إذن لماذا طوال السَّنوات الأربع المنصرمة كنتم تقولون وتخطِّطون وتفعلون وتمارسون كلَّ ما هو عكس هٰذه الحقيقة؟

للضَّرورة أتحدَّى من يدَّعي أنَّهُ كان يدرك أو يفهم هٰذا الحقائق أن يبرهن ذٰلكَ بسلوكٍ سابقٍ أو تعليقٍ أو تحليلٍ علىٰ مستوىٰ منذ بدء الثَّوْرَة إلىٰ ما قبل أشهرٍ قليلةٍ. راجعوا من فضلكم اللقاءات التِّلفزيونيَّة والتَّنظيرات فكلُّ شيء مسجَّلٌ للجميع علىٰ مدار ما سبق من عمر الثَّوْرَة... الجميع أعني المحللون والمنظِّرون والمتفلسفون والقيادات من مختلف المستويات. وإذا كان ربُّ البيت ضارباً بالطَّبل فشيمة أهل البيت كلِّهم الرَّقص.

ومع ذٰلكَ، ومع انكشاف كلِّ الحقائق بطريقةٍ مفجعةٍ وكارثيَّةٍ ستجد هٰؤلاء أنفسهم مصرين علىٰ السَّير علىٰ عكس ما انكشف من الحقائق انكشافاً لا يقبل الشَّك... وهٰذا السَّير بالمقلوب أمرٌ واقعٌ الآن بكلِّ فجاجةٍ وغلاظة. يعني ليست المسألة مسألة توقعات أو تنبؤات أو تشاؤم. وهٰذا وحده أمرٌ مثيرٌ للريبة نظريًّا.

لم يكن من بُدٍّ من هٰذه المقدمة لأنَّ التقريع علىٰ هٰذه الحقائق، علىٰ هٰذه المصائب قائمٌ علىٰ قَدَمٍ وساقٍ من دون أن يقبل أحدٌ الالتفات إليها أو الاقتناع بها. هٰذا ليس تناقضاً مع ما سبق.

حسناً، ما المصائب الخمس هٰذه؟

تنقسم المصائب إلىٰ قمسين ثلاثة واثنين. الثَّلاثة هي القسم الدَّاخلي وهي العامل الحاسم والأساسيُّ مهما بلغت فاعلية الطرف الخارجي، والقسم الثاني هو القسم الخارجي. وهٰذه المصائب هي التالية علىٰ ترتيب الأهميَّة:

أولاً: النِّظام

مهما كانت الوعود والإغراءات من أيِّ طَرَفٍ داخليٍّ أو خارجيٍّ النِّظام هو المسؤول الأوَّل والأخير عن مأساة سوريا أرضاً وتاريخاً وشعباً.

يجب أن يدرك الجميع أنَّ النِّظام لم يفعل غير ما قد يفعله أيُّ نظامٍ يثور عليه شعبه. هٰذا ليس دفاعاً عن النِّظام ولا تسويغاً لما فعل. لأنَّ المشكلة الأساسيَّة والجوهريَّة ليست هنا تحديداً. المشكلة في حقيقة الأمر هي في أنَّ النِّظام كان عاجزاً في كلِّ مراحل الثَّوْرَة عن استيعاب التَّطوُّر التَّاريخي وفهم الحدث والعجز من ثمَّ عن اتخاذ الإجراء اللازم المناسب. في كلِّ مراحل الثَّوْرَة كان يمكن للنِّظام أن يضع حدًّا لشلال الدم والدمار والخراب والتشريد وإعادة القطار إلىٰ السكة. ولٰكنَّهُ في كلِّ المراحل كان يختار الخيارات الخطأ ويدافع عن الخطأ بخطأ فيولد خطأ جديداً ومصيبة جديدة، وهٰكذا.

النِّظام لم يقبل النَّصيحة ولم يعمد إلىٰ المشورة وكان لا يستشير ولا يفوض أمر التَّدبير إلا إلىٰ الأشخاص الخطأ في الوقت الخطأ والمكان الخطأ. ولذٰلك وصلت الأمور إلىٰ ما وصلت إليه. ومن ثَمَّ فإنَّ كلَّ سلوكات النِّظام من أدناها

إلىٰ أعلاها تُفهم من خلال هٰذه البنية، ومنها أنَّهُ لم يفتح أيَّ باب للحوار الجديِّ مع زعمه القيام بذٰلكَ، بل مع قيامه بتمثيليات حواريَّة زعم أنَّها الحوار. ولا أطيل في ذٰلكَ فقد كتبت فيه الكثير الكثير منذ أول الثَّوْرَة إلىٰ يومنا مما كان مادة كتابٍ كاملٍ.

علىٰ أيِّ حال، في ظلِّ المعطيات الراهنة يمكنني القول النِّظام وحده يملك الحل؛ إمَّا أن تستمرَّ المأساة عشرات السِّنين أو أن ينهيها. ولٰكن بكلِّ تأكيدٍ ليس بطريقة تفكيره وإدارته السَّابقة لأنَّهَا هي التي ستجعل المأساة مستمرة.

ثانياً: قيادات الثَّوْرَة

لا يوجد قيادة للثَّورة، توجد قيادات. وهٰذا وحده أكبر مأساة. ومع ذٰلكَ ذٰلكَ، وكما يقول المثل العاميُّ: «رضينا بالبين والبين ما رضي فينا»، فإنَّ هٰذه القيادات الثَّوْرَية السِّلميَّة والسِّياسيَّة والعسكريَّة والسَّنكريَّة كلها، كلها وأكاد أقول من دون استثناء، ليست أهلا للقيادة وتصرُّ علىٰ أن تكون هي القيادة...

اتَّسمت قيادات الثَّوْرَة السلميَّة في البدايات فقط بالحماس والاندفاع والإخلاص والصِّدق والنَّوايا الشَّريفة النَّظيفة، ولٰكن في الوقت ذاته افتقرت هٰذه القيادات منذ بداية الثَّوْرَة إلىٰ الوعي السِّياسي والتَّقدير الصَّحيح لمجريات الأمور والتَّخطيط والتَّدبير والتَّفكير... وبعد سنةٍ ونصف أو أو أكثر قليلاً تعمقت معضلة هٰذه القيادات أكثر فالقيادات الأولىٰ الصَّادقة الشَّريفة النَّظيفة ماتت أو اعتقلت أو تشرَّدت واستلم

عنها من اتَّسم بالمساوئ السَّابقة وأضاف إليها مساوئ جديدة من الوصوليَّة واللصوصيَّة والتَّسلُّق... وسينجم عن هٰذه التركيبة الجديدة الممارسة الإقصائيَّة لكلِّ الكفاءات والمهارات ولكلِّ من يريد أن يعمل بصدقٍ وإخلاصٍ لأنَّ وجود هؤلاء يفضح سطحيتهم وسائر معايبهم الأُخْرىٰ.

هٰذا الحكم عامٌّ غير مطلق. عامٌّ أي إنَّ أكثريَّة القيادات من هٰذا القبيل... أي إنَّ الأمر لا يخلو... أقول لا يخلو من وجود بعض القيادات الشَّريفة والمختصَّة والكفوءة في أيِّ مجالٍ من المجالات: الثَّوْرَية والسياسيَّة والعسكريَّة والحقوقيَّة والطِّبيَّة والإغاثيَّة... إلىٰ آخر ما هنالك. ولٰكن أذكر من جديدٍ هم القلة القليلة بَيْنَ تراكم أصحاب عقد النقص والاستعراض والزعامة والفخامة... ولذٰلك لن يكون لهم أيُّ تأثير.

حسناً، هنا المشكلة التي يجب تسليط الضَّوء عليها. إنَّ أشخاصاً بهٰذه المواصفات لا يمكن أن ينتجوا نتائج صحيحة علىٰ الإطلاق، بل إنَّ بعضاً غير قليل منهم صار من مخطَّطاته أن تدوم الثَّوْرَة، أن تطول المأساة، أن تتفاقم المعاناة، لأن منفعتهم ومصالحهم تتحقَّق بهٰذه الدَّيمومة، وإنَّ توقف الثَّوْرَة بأيِّ حالٍ هو قطع شريان الفساد الذين يعتاشون عليه.

هٰذا لا يعني أن الثَّوْرَة علىٰ خطأ. ولا أنَّ الشَّعْب السُّوري سيءٌ. أبداً. ثَمَّة تقاطعات كثيرة أدَّت إلىٰ ذٰلكَ، من طرف النِّظام من طرف الآخرين... وكانت النُّفوس المريضة والضَّعيفة والفصاميَّة كلها جاهزة لتلقف هٰذه الفرصة أو الانجراف

في التيار الذي سيقوا إليه، وبعضهم لم يكن بحاجة لمن يقوده إلىٰ هٰذا المسار لأنَّهُ كان يصنعه بنفسه.

ثالثاً: أدعياء المعارضة

لا أريد الحديث في المعارضة العربيَّة وطبيعتها وكفاءاتها وفلسفاتها ووقفتها الشولاء ضدَّ الثَّوارات العربيَّة!!!... فهٰذا موضوعٌ طويلٌ أفردتُ له كتاباً كاملاً. ولذلك قلت: أدعياء المعارضة ولم أقل المعارضة. ثَمَّة فرقٌ بَيْنَ الفنائين.

مما أوضحته غير مرَّةٍ منذ عام ٢٠١٢م أنَّ الظُّروف القاهرة للشَّعب السُّوري اقتضت منه تفويض من يمثله في الخارج من الخارج لمخاطبة الخارج... وإذ بهم جميعاً من الخارج إلىٰ الخارج، كانوا في خارج ودخلوا إلىٰ خارج وضيعوا كل المخارج... مع استثناءات قليلةٍ بل نادرةٍ ندرة اجتماع المال والعقل والجمال في امرأة معاً.

منذ بدء تشكيل المجلس الوطني تبين بوضوح أنَّ بنية التَّركيب خاطئة، فلسفة المجلس خاطئة، الأشخاص الذين تَمَّت لملمتهم من شوارع أوروبا هم الأشخاص الخطأ... منهم من غادر سوريا وعمره عشر سنوات ومع ذٰلكَ راح يبيض علينا بطولات ثوريَّة واعتقالاتٍ وملاحقاتٍ كان يتعرَّض لها... وكلُّها كذب، هشت بهشت، لا أساس لها من الصِّحة... ولٰكنَّهَا (بريستيج) لا بُدَّ منه للظهور في برواز المعارضة.

تَمَّ نسف المجلس الوطني من أجل إنشاء الإئتلاف الذي كان نسخة من المجلس الوطني في الأوصاف السَّابقة وربَّما زاد الطين بلة بأخطاء مصائبيَّة كارثيَّة في حقِّ الثَّوْرَة وسوريا شعباً وأرضاً وتاريخاً.

لا أريد الدُّخول في تفاصيل مؤلمةٍ وهي كثيرةٌ جدُّ كثيرةٍ. أختم فقط باعترافاهم في الأيَّام الأخيرة، من أجل تفسير عدم فاعليتهم وإخفاقهم علىٰ مدار السَّنوات الثلاث السَّابقة، بأنَّهُم ليس فيهم خبراء تخطيط ولا تنظيم ولا حَتَّىٰ فهم، ولهٰذا عادي لأنَّهُم، مع تحفظ علىٰ نحو اثنين بالمئة، نكرات لا تاريخ لهم. حاولوا تعلم الفهم والمعارضة بدماء السُّوريين وعذاباتهم، ويا ليتهم تعلَّموا شيئاً. ومع اعترافهم بعدم الفهم والافتقار إلىٰ الخبرة فإنَّهُم مصرُّون علىٰ المضي في ادعاء قيادة الثَّوْرَة!!!

مضطرٌّ لتمديد الخاتمة بذريعتهم السَّخيفة بأنَّ نظام البعث جرَّف الحياة السِّياسيَّة والوعي السِّياسي علىٰ مدار خمسين سنة، من أجل تسويغ الغباء والأخطاء، ولهٰذا وهمٌ. الكفاءات أكثر من كثيرة ولٰكنَّهُم أنانيون لم يمانعوا من تدمير سوريا وقتل شعبها من أجل تفريغ عقد النَّقص واللصوصيَّة.

رابعاً: المجتمع الدولي

المجتمع الدولي تسمية مضللة في حقيقة الأمر. مفهوم عام غير قابل للتعميم، لأنَّهُ لا يوجد مجتمعٌ دوليٌّ. يوجد أمريكا التي تفرض إرادتها علىٰ الجميع بطريقة أو بأُخْرَىٰ. وفي إطار الأزمة السُّوريَّة وجدت روسيا والصين سلماً بالعرض كما يتوهَّم الكثيرون، في حين أنَّهُما تفعلان ما يسر أمريكا ويرضيها. تفاصيل ذٰلكَ كثيرةٌ في حقيقة الأمر وكان لي فيها كتاب كامل هو الثَّوْرَة السُّوريَّة والمؤامرة الكونية.

من فكرة المؤامرة أنفذ إلىٰ المشكلة هنا. لقد خلط النِّظام أساساً بَيْنَ المؤامرة التَّلقائيَّة والتَّاريخية علىٰ سوريا والعالم العربي والإسلامي، وبَيْنَ الثَّوْرَة

السُّوريَّة. لم يكن موفقاً في الخلط لأنَّهُ زاد في تفاقم الأمور واستفزاز الشَّعْب السُّوري.

علىٰ أي حالٍ ليست المشكلة هنا، المشكلة هي أنَّ النِّظام فتح الباب علىٰ مصراعية لتنفيذ رغبات المتآمرين علىٰ سوريا سواء بيده المباشرة أو بإيصال الأمور إلىٰ ما وصلت إليه. ولم يتوقَّف الأمر هنا بل وُجِدَ من النُّفوس المريضة والضَّعيفة والعفنة في قيادات الثَّوْرَة ما أدَّى إلىٰ وضع المتآمرين يدهم علىٰ الطَّرف الثَّاني فصارت سوريا من بابيها مفتوحةً علىٰ مصراعيها لتنفيس عقد المتآمرين في تدمير سوريا والسير بها خطوة خطوة إلىٰ تحقيق المشروع الذي ترغب فيه وتتمناه... علىٰ الأقل هَكذا يتصورون حَتَّىٰ الآن، ويعملون علىٰ هٰذا الأساس حَتَّىٰ الآن.

المؤامرة دخلت بعد أن فتح السُّوريون لها الباب، وعلىٰ رأسهم النِّظام. والمجتمع الدولي، بالمعنىٰ الذي صار واضحاً، له غاية واحدة وهي استفزاز وإغراء الطَّرفين من أجل استمرار الصِّراع إلىٰ أقصى مدىٰ زمنيٍّ ممكنٍ. أي لا يريدون للثَّورة أن تنتصر، ولن يسمحوا ما استطاعوا إلىٰ ذَلكَ سبيلاً أن تنتقل السُّلطة من النِّظام إلىٰ طرف جديدٍ لا يحقِّق لهم مصالحهم مثل النِّظام في الحدِّ الأدنىٰ. لأنَّهُ أمام فرصة تاريخيَّة لن تتكرَّر.

الثَّـوْرَة وقادتهـا بالمجمـل لم يـدركوا هٰـذه الحقيقـة ولـذَلك ظلَّـوا حَـتَّىٰ اليـوم متعلقـين بـذيل المجتمـع الـدولي نـاطرين الـدَّعم والمسـاعدة والتَّـدخل. وهٰـذا محـض غبـاءٍ لأنَّـهُ في أحسـن الأحـول وأحسـن الظُّنـون مـن الغبـاء توقـع أيِّ دعـم أو مسـاعدة مـن أحـد مـن دون ثمـن. مـن الغبـاء توقـع أن يحـل الآخـرون مشـكلاتنا، أو أن يـدافعوا عنَّـا... تمامـاً مثـل القضـيَّة الفلسـطينيَّة

التي ما زال العرب منذ سبعين سنة ينتظرون ويأملون أن تقوم أمريكا بمحاربة إسرائيل وتحرير فلسطين!!!

وفي الوقت ذاته النِّظام وقع في فخ الوعود والإغراءات ومضىٰ في معركته غير تاركٍ وراءه باباً يعود منه. ومع ذَلكَ أتساءل: لو أدرك النِّظام أنَّهُ ماض في هٰذا النَّفق منذ البداية هل كانت لتكون هٰذه خياراته؟ وحده الذي يجيب علىٰ هٰذا السُّؤال.

خامساً: المجتمع العربي

نقصد بالمجتمع العربيِّ الأنظمة العربيَّة بالمطلق. بالمطلق الأنظمة العربيَّة لم تُرِدْ للثَّورة السُّوريَّة أن تنتصر، وبالمطلق أرادت أن تؤدِّب شعوبها وترويضها بالشَّعْب السُّوري... وأن تجعل الثَّوْرَة السُّوريَّة مقبرة الرَّبيع العربي. وأكاد أقطع الشَّك بيقين أنَّها كلَّها تنسِّق مع النِّظام السُّوري علىٰ هٰذا الشَّأن علىٰ الرَّغْمِ من الحملات الإعلاميَّة الشَّنيعة شناعةً غير محدودةٍ بَيْنَ الطرفين؛ الأنظمة العربيَّة والنِّظام السُّوري.

وهنا وَقَعَ النِّظام في الفخِّ، ووقعت الثَّوْرَة بَيْنَ يدي من لا يرحم. حَتَّىٰ الآن ترى الثَّوْرَة بمختلف قياداتها إلىٰ الأنظمة العربية علىٰ أنَّها داعمةٌ للثَّورة في حين أنَّها علىٰ عكس ذَلكَ تماماً. ولذَلك استطاعت هٰذه الدُّول جرَّ الثَّوْرَة إلىٰ سردابها وقيادتها بما ينسجم مع أهدافها وغاياتها، وخضعت الثَّوْرَة لها.

أمَّا النِّظام فمن السَّهل تفهُّم وحَتَّىٰ تقبل تنطعه لمهمة ترويض الشَّعْب العربي بالشَّعْب السُّوري في الأشهر الأولى من الثَّوْرَة. ولٰكن بعد مضي أقلِّ من عامٍ لا يمكن تفهم ولا تقبل قبوله القيام بمهمة التَّرويض هٰذا لأنَّهُ هو من سيدفع الثَّمن، والشَّعْب السُّوري من سيدفع الثَّمن. أي سوريا ستدفع الثَّمن نفسه

مرتين؛ وقد فعلت، من أجل خدمة الأنظمة العربية وراحتها. لأنَّ شقًّا آخر من المشكلة يمكن في أنَّ الأنظمة العربيَّة أرادت أن تشتعل سوريا وتحترق من أجل تبقىٰ هي بعيدة عن النار... وقد فعلت أيضاً. ولٰكن هل ستبقى بعيدةً عن النَّار؟

إذن، في محصلة القول: إذا كان النِّظام مسؤولاً بالدَّرجة الأولى والأخيرة في المرحلة الأولى من عمر الثَّوْرَة عن وصول الأمور إلىٰ ما وصلت إليه، فإنَّ الجميع في المرحلة الثانية وما بعدها مسؤول عن وصول الأمور إلىٰ مرحلة الفوضىٰ والعبثية. واستمرار الطرفين في هٰذا الغباء والوقوع في الأفخاخ يعني بالضَّرورة استمرار المأساة وتصاعد تعقيد الأمور وابتعاد الحل. واحدٌ من الطَّرفين يجب أن يصحو ويعرف كيف يقود الأمور إلىٰ المسار الصَّحيح الذي لن يكون الوصول إليها سهلاً بحالٍ من الأحوال، ولٰكنَّهُ ما لا بُدَّ منه لوضع القطار علىٰ السِّكة.

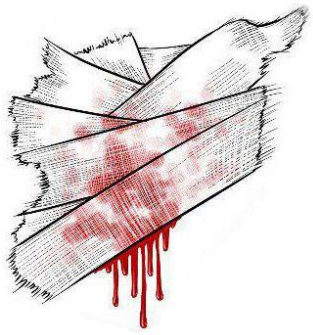

الفصل الثاني

لماذا تسد الأبواب أمام السوريين؟

أيَّامَ كان السُّوريون بخيرٍ كان العالم العربيُّ كلُّه مفتوحاً أمامهم من دون تأشيرة[٢]. وعندما تعرَّض السُّوريون للقتل والتَّشريد وتدمَّرت أملاكهم وحياتهم واحتاجوا أشقاءهم العرب أغلق العرب أمامهم الأبواب وصاروا يشترطون آلاف الشُّروط لدخولهم إلىٰ بلادهم... كلُّ الدُّول العربيَّة تفعل ذَلكَ وليس لبنان فقط. كلُّ الدُّول العربيَّة تفعل ذَلكَ

(٢) .كتب هٰذا المقال في ١/٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

علناً، والدَّولة التي لا تفعله علنا تفعله من تحت الطاولة رُبَّما بطريقة أشد، في حين تعلن في التَّصريحات ووسائل الإعلام أنَّها متضامنةٌ مع السُّوريين.

لم تكن الدُّول العربيَّة مفتوحة أمام السُّوريين كما هي مفتوحة أمام الأوربيين والأمريكيين والآسوييين والقطبيين الجنوبيين والشَّماليين... هٰذا صحيح، ولٰكنَّهَا علىٰ الأقل لم تكن مغلقةً بهٰذه الطَّريقة البشعة الشَّنيعة التي هي عليه اليوم.

يا أخي الأخوَّة العربيَّة العربيَّة أخوة غير شكل غير شكل.

المسألة ليست سهلةً أبداً.

العتب واللوم ليس صغيراً أبداً.

يجب أن تعلموا قبل أيِّ شيءٍ أنَّ أزمة تشرد السُّوريين هي الأكبر منذ الحرب العالميَّة الثانية، هٰذا وفق تقديرات عالميَّة صادرة عن كثير من المؤسسات الرسميَّة وليست محض تقديرات تخيليَّة نابعةً عن الوجع والألم من هٰذا السُّوري أو ذاك. بل إنَّهَا تقديرات الحدِّ الأدنى الذي لا يمكن النُّزول عنها حرجاً أمام العقل والمنطق. وللتَّوضيح علىٰ سبيل المثال؛ في حين وصل عداد القتلى إلىٰ نحو مليون فإنَّ عدد الأمم المتحدة والمنظمات الدوليَّة متوقِّف عن مئتي ألف منذ سنتين.

تخيلوا يا رعاكم الله، فواجع وكوارث حرب عالميَّة خاضتها عشرات الدُّول الكبرى، علىٰ مدار نحو سبع سنوات، تتكافئ نظرياً وعمليًّا مع فواجع الثَّورة السُّوريَّة من قتل وتشريد ودمار ولجوء... قبل أشهر قليلة وصفت اليونسكو/ الأمم المتحدة دمار حلب بأنَّهُ أكبر دمارٍ في تاريخ البشريَّة بعد دمار هيروشيما التي دمرتها أول قنبلة نوويَّة...

مع كلِّ هٰذه المصائب غير المسبوقة في التَّاريخ البشري وقف أهلنا العرب وقفةً لئيمةً غير مسبوقةٍ في تاريخ البشريَّة من تعقيدات الدُّخول وإجراءات الإقامة والانتقال ومنع الدُّخول والتَّهجير والإعادة إلىٰ النِّظام ومنع العمل... ناهيكم عن الأحقاد التي تضع العقل في الكفِّ: الأشقاء العرب يحسدون السُّوريين علىٰ الخيام التي يقيمون فيها بَيْنَ الجبال والصَّحارى وسط البرد القاتل والحر القاتل ...الأشقاء العرب يحسدون السُّوريين إذا رأوا بيدهم رغيفاً ويتندرون بهم؛ أيأكل خبزاً وهو مشرد؟!! تستحقُّون كلَّ ما يحدث لكم؟

غير معقول...

غير معقول أبداً ما يحدث ويدور.

في الوقت ذاته تجدون العالم وعلىٰ رأسه الأشقاء العرب يستنفرون لهجرة نحو مئتي إيزيدي استنفاراً يفوق استنفار العالم لتشريد ملايين السُّوريين، ويقدمون من المعونات لمئتين وخمسين إيزيدي تفوق ما يقدم لملايين السُّوريين، ويتمسحون بالأيزيديين ويتبركون بهم، ويتبرمون بالسُّوريين.

هزلت وكم قلت إن كلمة هزلت أقل بمليون مرة مما نراه.

لا نحسد الإيزيدين علىٰ هبة العرب والعالم لنجدتهم، ولا يزعجنا ذٰلكَ، ولٰكنَّنا نضحك من هٰذه المفارقات تشق الرأس نصفين ألماً.

ربِّ إليكَ وحدك المشتكى.

أختم بعنوان المقال: لماذا تسد الأبواب بوجه السُّوريين؟

هٰذا هو السُّؤال الذي يجب أن يطرح، وهو السؤال الذي يجب أن نفهم إجابته، الإجابة الواضحة الحقيقة هي التي تفسر ذٰلكَ. لن أجيب

إجابةً مباشرة، سأجيب بتساؤلاتٍ خاطفةٍ يمكن أن تفتح أفق الوصول إلىٰ الحقيقة:

. هل هو عقاب علىٰ لهم قيامهم بالثَّورة؟

. هل هو لإعادتهم إلىٰ حضن النظام؟

. هل هو خوف منهم لسبب نجهله؟

. هل هو من عجز عن مساعدتهم؟

ـ أم هي الطَّبيعة الحقيقيَّة للأشقاء العرب حكومات وشعوباً ولم نكن ندركها، والثَّورة السُّوريَّة هي فرضت علىٰ الجميع أن يتعرَّى ويظهر علىٰ حقيقته؟

الفصل الثالث

تباً لكم أيها البشر

من تفاهات البشريَّة أنَّهَا جعلت من مأساة السُّوريين مرتعاً يتفسحون به ويمارسون فيه عروضهم المسرحيَّة والبهلوانيَّة[٣]...

وكأن السُّوريين تشردوا كي يأتيهم كركوز وعواظ لينطوطوا أمامهم ويهرجوا لهم!!!

ومع عدم المؤاخذة:

(٣) .كتب لهذا المقال في ٨/١/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

هل الذين يهرجون لأطفال سوريا المشردين يروحون عن الأطفال أم يروحون عن أنفسهم؟

هل هٰذا ما يحتاجه الأطفال السُّوريون المشردون الملتحفون بالثلج؟

تباً لكم أيها البشر كم أنت بارعون في التهريج عندما يجب أن تطلقوا النار علىٰ التهريج!!

هل قام السُّوريون بثورتهم حتى ينتقلوا من بيوتهم إلىٰ خيام في دول الجوار تلعب بها رياح الشتاء وغبار الصَّيف، وتأتوا لهم لتروحوا عنهم بنكاتكم السَّخيفة وتهريجاتكم السَّفيهة؟

أيعقل أنَّهُ لم يعد من عمل أو واجب أمام المجتمع الدَّولي بمؤسساته الرسميَّة وغير الرسميَّة وأعلامه ورموزه إلا الضَّحك علىٰ المشريدين بَيْنَ الحين والحين بمسرحيَّة كراكوزاتيَّة للأطفال وأُخْرَىٰ عيواظاتيَّة للكبار... وفي أحسن الأحوال بعلبة بسكويت وعلبة محارم تواليت مع سائل جلي علما أنَّهُ لا يوجد مجلى ولا مطبخ؟!!

هل هٰذه السُّلوكات مبرمجةٌ مقصودةٌ أم علىٰ براءة الأغبياء والمهابيل؟

الشَّعب السُّوري كله في حالة تشرد شبه كاملة. سوريا أم الحضارات والأبجديات والتاريخ... سوريا أم البشريَّة كلها في حالة تشرُّد وإبادة ودمار. لن أتحدث في الإحصاءات التي تشقُّ الرَّأس نصفين وكل نصفٍ إلىٰ أنصاف. لننظر فقط في التَّشرُّد.

أكثر من ستة ملايين مشرد سوري خارج سوريا، أي نحو ثلاثين بالمئة من الشَّعب السُّوري مشرَّد خارج سوريا. وليس أقل من ستة ملايين مشرَّد سوري داخل سوريا، أي أيضاً نحو ثلاثين بالمئة من الشَّعب السُّوري مشرَّدٌ خارج

سوريا... أي ما لا يقلُّ عن ستين بالمئة من الشَّعب السُّوري مشرَّدٌ ما بَيْنَ الدَّاخل والخارج، أكثر من ستين بالمئة من الشَّعب السُّوري خارج منازله علىٰ الرَّغْمِ منه...

هٰذا لا يعني أنَّ من هم في ديارهم ومنازهم ليسوا في حالة تشرد وضياع... حسبك في أحسن الأحوال كثير منهم بيته أمام عينيه ولا يجرؤ علىٰ قرع بابه أو الاقتراب منه!!! وبالمطلق حالهم ليس أقل مأساويَّة عمَّن يعيشون في الخيام المحاصرة بالثلوج من تحت ومن فوق ومن اليمين واليسار والأمام والخلف... حَتَّىٰ في الاسكيمو قد يصعب عليك الحصول علىٰ هٰذه الرفاهيَّة الثلجيَّة... لا كهرباء، لا غاز، لا مازوت... ولا حطب... يعني المأساة صيفيَّة شتويَّة... وفوق ذٰلكَ كله: لا عمل، لا دخل!!!

عمليًّا أكثر من ثلثي الشَّعب السُّوري يعيش إيقاع المأساة ذاته... يرقص علىٰ الثلج والجمر في وقتٍ واحدٍ ألماً لا فرحاً. كلُّ ذٰلكَ بريشة الغرب الإنساني أكثر مما هو بفعل النِّظام. النِّظام ليس سوى الأداة التي دمرت ولٰكنَّ الغرب هو الذي أراد وساهم وخطط وقاد الأمور لتصل إلىٰ هٰذه النَّتيجة...

لن أدخل في تفاصيل أكثر خطورة من فكرتنا هنا، أكتفي فقط بتسليط الضَّوء علىٰ هٰذه العبثيَّة في التَّعامل مع المأساة السُّوريَّة:

السُّوريون يحترقون والغرب يصفق ليوحي لنفسه بأنَّهُ يشاهد عَرْضاً مسرحيًّا!!!

السُّوريون يموتون من البرد والعالم يتجادل هل يعطي بطانيَّة أم بطانيتين للمشرد!!!

السُّوريون بلا عمل، وممنوعون من العمل في دول اللجوء، وخاصة العربي، والمجتمع الدولي يقرِّر وقف الإغاثات التي يقدِّمها لهم!!!

وتكتمل دائرة الصَّفاقة البشريَّة اليوم التَّاسع من كانون الثَّاني ٢٠١٢م بوقوف مجلس الأمن دقيقةَ صمتٍ حداداً علىٰ أرواح اثني عشر شخصاً قتلوا في فرنسا أمس بينما مجلس الأمن لهٰذا ذاتها يتعامل منذ أربع سنوات مع مقتل مئات ألوف السُّوريين وكأنَّهَا دمى بيد كراكوز وعواظ. دماء اثني عشر شخصاً حظيت أكثر ألف ألف مرة مما حظيت به دماء مئات ألوف السُّوريين ناهيك عن نحو خمسة عشر مليون مشرد، أكثر من لثلثي سكان سوريا!!!

وجع علىٰ وجع، السلسلة أطول من أن تنتهي، وكلها وجع علىٰ وجع.

عندما يغيب المنطق وتحضر الأنا ستكون الأخلاق في المزبلة.

فلا تسألوا عن الأخلاق عندما يداس المنطق لمصالح الأنا.

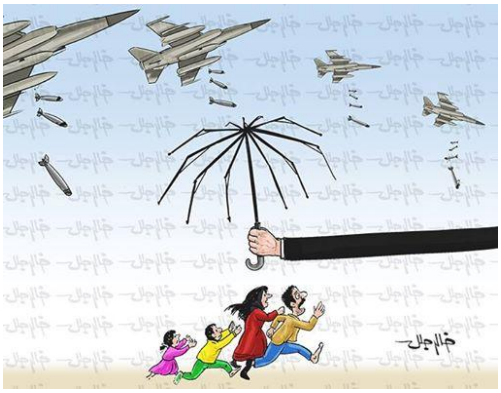

الفصل الرابع

السوريون يحترقون
والعالم يريد تعليمهم الرقص

في حين أن الفلاسفة والمفكرين كتبوا عشرا الكتب تحت عنوان: إنسانيَّة الإنسان، سأقلب المجنَّ وأحدِّثكم عن «لا إنسانية الإنسان»(٤).

في أوساط عام ٢٠١٢م كتبت معلقاً علىٰ الموقف الدَّولي بالمطلق من الثَّورَة السُّورية قائلا: «حَتَّىٰ بعد انتصار الثَّورَة السُّورية يجب أن نقف وقفة حداد علىٰ الضمير العربي والإسلامي والعالمي»، وفي أواخر عام ٢٠١٢م كتبت: «من

(٤) .كتب هٰذا المقال في ١/٢٤/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

كنا نشكو صمتهم تكلموا، وعندما تكلموا ندمنا على أننا لمنا صمتهم... قتلونا بصمتهم، وسيقتلون الثَّورَة بكلامهم».

أنموذجان من كثير من التَّعليقات التي كتبتها بعد سنة على الثَّورَة، ولست الوحيد الذي استاء أشد الاستياء من الاستهتار الدَّولي بالمأساة السُّورية وتلاعبهم بها، كتبت الكثير في ذَلكَ من زوايا مختلفة، ولٰكنَّ بقيت يافطة ثوار كفرنبل التي رفعوها في ٢٠١١/١٠/١٤م أبلغ من كل الكلام، قالوا: «يسقط النِّظام والمعارضة... تسقط الأمة العربيَّة والإسلاميَّة... يسقط مجلس الأمن... يسقط العالم... يسقط كلُّ شيء».

تعبير صارخ جدًّا بعد أشهر من الثَّورَة يعبر عن المأساة بعمق وبلاغة فريدة، وأبلغ ما فيه أسبقيته التي قرأت بعمق التَّخاذل العالمي والنَّذالة العالميَّة في التَّعامل مع الثَّورَة السُّورية والمأساة السُّوريَّة.

لم تكن الأمور حَتَّىٰ نهاية عام ٢٠١٢م واضحةً للكثيرين، بل حَتَّىٰ الآن ليست واضحةً للكثيرين أيضاً، ولم تكن الممارسة العالميَّة والعربيَّة والإسلاميَّة بشعةً بمثل ما صارت عليه منذ مطالع عام ٢٠١٣م. فقبل أن تبدأ الثَّورَة عامها الثَّالث انقلبت بل انكشفت الممارسات المعادية لمطامح الشَّعب السُّوري وللثَّورة السُّورية من قبل الأنظمة العربيَّة قبل الغربيَّة ومنها جميعاً على السواء.

منذ تلك الفترة بدأت الأيدي الخبيثة تحيل الثَّورَة شيئاً فشيئاً إلىٰ ضرب من اللهو والعبثية والتسلية. أسقطوا كلمة الثَّورَة من التداول وصار يتحدثون عن صراع، عن معارضة ونظام، وشيئاً فشيئاً تلاشت كلمة الثَّورَة السُّورية من وسائل الإعلام كلها تقريباً. نحو سنتين تماماً مضيتا على سحب كلمة الثَّورَة السُّورية من التداول.

ومنذ تلك الفترة صاروا يشغلون السُّوريين المهجرين والمشردين في الداخل بموضوعات تافهة رقيعة سخيفة، ويهمشون الحديث في الثَّورَة ويتغافلون الحديث عن الألم والمعاناة. لقد مارسوا ومازلوا يمارسون ذَلكَ بنذالة. شركاؤهم في ذَلكَ سوريون رخيصين رقيعون يسهلون لهم هٰذه المهام من أجل حفنة دولارات يقبضونها أجرة أو مكافأة أو سرقة.

في حين أنَّ الدماء تسيل في أرجاء سوريا أنهاراً...

في حين أنَّ هناك ما لا يقل عن نصف مليون شهيد في الحد الأدنى...

في حين أنَّ هناك ما لا يقل عن مليون مصاب حرب...

في حين أنَّ هناك نحو نصف مليون معتقل نصفهم مجهول المصير...

في حين أنَّ أكثر من ستين بالمئة من كامل البنية التحتية السُّورية مدمرة...

في حين أنَّ أكثر من ثلث سكان سوريا مشردين خارج سوريا...

في حين أنَّ نحو ثلث سكَّان سوريا مشرَّدين داخل سوريا...

في حين أنَّ المشردين ما بَيْنَ الداخل والخارج ثلاثة أرباع سكان سوريا علىٰ الأقل، أي نحو خمسة عشر مليون سوري، أي ما يعادل سكان ثلاث دول المجاورة، ما يعادل عدد سكان نحو خمسين دولة صغيرة في العالم...

في حين ذَلكَ كله وغيره وغيره من المآسي التي لا يمكن أن تكون عرفتها البشرية فيما خلا الحرب العالمية الثانية بالقياس والنسبة حَتَّىٰ الكم ذاته... في حين ذَلكَ كله لم يجد المجتمع الدَّولي ومؤسساته المختلفة ما يمكن أن يفعلوه أو يقدِّموه للسُّوريين سوى دورات تعليم الرقص الشَّعبي والفلامنچو... ودورات تعليم فنِّ الخط وفن الخطابة، وفنون التَّطريز والخياطة، ودورات استخدام الحاسوب، ودورات الدَّعم النَّفسي، ودعم الدَّعم النَّفسي، ودورة الإدارة المحليَّة،

والإدارة المحكيَّة، والإدارة الحكيَّة، ودورات إدارة الخبر ونشر الخبر والتَّصوير الفوتوچرافي والتَّصوير السِّيلقي... وهلم جرًّا من هٰذه الدورات في النطوطة والزعوطة والبطبطة...

هي كلها سخافات وتفاهات مهما بلغت ما بلغته من الفوائد. هٰذه الدورات كلها هدر الأموال والأوقات، وزرع الأنانية في نفوس الناس عن طريق شغلهم بمصالحهم الخاصة والشخصية وملئ فراغاتهم بهٰذه التفاهات والسخافات وتهميش الاهتمام والتَّفكير بالمأساة وجذر المأساة... وإيصالهم إلىٰ مرحلة اليأس والإحباط.

هنا صار من الممكن إدراك لماذا يحارب ويحاصر العالم أجمع المهاجرين السُّوريين. قلَّما قلَّما لقي شعبٌ مهجَّرٌ ما لقيه السُّوريون من تضييق وحصار في الدَّول العربيَّة تحديداً... كلها من أجل قهر أغلبية السُّوريين وإحباطهم وتيئتسهم لجعلهم يقبلوا بالتوافقات التي ترتئها دول المنطقة والدَّول الأُخْرَىٰ التي تلعق من الدم السُّوري، وفي الوقت ذاته تظهير فريق الفاسدين والمنافقين والوصوليين واللصوص وتقديمهم إلىٰ الأمام ليقودوا سوريا بعد انتهاء (الأزمة)، بعد انتهاء الأزمة وليس انتصر الثَّورَة، لن يهمهم كيف تنتهي الأزمة، يهمهم تشكيل فريق قيادة سوريا بالطريقة التي يريدونها سواء أسقطوا النِّظام أم أبقوه واجهة فاعلة أو منفعله.

لا أريد العودة إلىٰ كثير ما كتبت في المواقف العربية والدَّولية من الثَّورَة وتعاملهم معها يمكن العودة إليها لمن شاء. أردت فقط أن أركز علىٰ مشهد الوقاحة والصَّفاقة والتَّفاهة في التَّعامل الدَّولي مع السُّوريين في مأساتهم.

أيعقل أنَّهُ بعد كلِّ معطيات الثَّورَة السُّورية لا يجد المجتمع الدَّولي إلاَّ هٰذه الممارسات التَّرفية والترفيهية والكمالية ليساعد بها السُّوريين؟

أيعقل بعد كل الحقائق المريعة التي لا يجهلها متابع أن يتجاهلها المجتمع الدَّولي كلها ولا يجد سوى أن يعلم السُّوريين السباحة وفن التعامل مع الحاسوب وأصول التَّصوير وضوابط العمل الإداري وهلم جرًّا من هٰذه الدورات؟!

لا يمكن أن يكون علقهم مختلاً إلىٰ هٰذه الدَّرجة. إِنَّهُم يدركون ماذا يفعلون. فهل يدرك السُّوريون ماذا يفعلون؟!

أقول هم يدركون ما يفعلون والأدلة جدُّ كثيرة علىٰ ذٰلكَ، والأمثلة أكثر من أن تعدَّ وتحصى. سأختم بمثالين طريفين: قطَّة النِّظام وقطة حمص، بل حيوانات الثَّورَة كلها.

في أواخر عام ٢٠١٢م أصيبت قطة في حمص بقصف النِّظام، ولأنَّ الثُّوَّار أدركوا لا إنسانيَّة البشر في التَّعامل مع الثَّورة راحوا من باب السُّخريَّة يعمِّمون صورة القطَّة المصابة وقد عالجها الثُّوَّار لاستدرار العطف العالمي... قائلين: بما أنكم لا تتعاطفون مع دماء البشر تعاطفوا مع القطة. وفعلوا مثل ذٰلكَ استكمالاً للسُّخرية مع كثيرٍ من الحيوانات التي تعرضت للقصف أو القتل أو الحرق... ولٰكنَّ الضَّمير العالمي لم يتحرَّك ولم يتزحزح وظلَّ في غِيِّه يترنَّح. لا مجال للتَّعاطف مع كلِّ ما يمتُّ للثَّورة بصلةٍ من بشر وحيوانات وشجر وحجر.

في الوقت ذاته، في أواخر عام ٢٠١٤م، رُبَّما في قلب مدينة دمشق إن لم أنس، وصلت قطة إلىٰ رأس شجرة سرو عالية، لا أدري كيف وصلت وليس مهمًّا، المهمُّ أن النِّظام الحنون العاطف علىٰ الحيوانات جاء بالرافعة وفريق إنقاذ وصعد فريق الإنقاذ إلىٰ أعلى الشجرة وأنزل القطَّة... وصوَّر العمليَّة ونشرها، فوجدت نصيباً جيِّداً من التَّفاعل العالمي وتقدير سلوك النِّظام النَّبيل العظيم في إنقاذ القطَّة. ليبدو جليًّا أن حيوانات النِّظام مثل النِّظام تجد تعاطفاً دوليًّا وتفاعلاً.

أكرر: الأمثلة كثيرةٌ وكثيرةٌ جدًّا، وليست بسبب ظهور الجماعات الإسلاميَّة كما يزعمون. إنَّهَا منذ أيَّام الثَّورة الأولى، ودليل ذَلكَ ما نشره منذ أسبوعين تقريباً الفنان فارس الحلو الذي وقف مع الثورة منذ بدايتها، قال:

«في أول جمعة من شهر نيسان عام ٢٠١١م شهدت أوَّل مجزرة ترتكب بحقِّ المتظاهرين في مدينة دوما. كان الشباب يتساقطون أمامي من زخات رصاص تجمعات الشبيحة. وكنت أنقل الصورة مباشرة أمامي عبر صفحتي هٰذه، ثمَّ جاءني اتصال من تلفزيون الأورينت لأشهد بالواقعة... في اليوم نفسه أرسلت مقالاً مطولاً عن مدينة دوما لصحيفة لوس أنجلوس تايمز، بناء علىٰ طلب مراسلة الصَّحيفة».

يتابع فارس الحلو قائلاً: «بعد نشر المقالة فوجئت بتزوير الحقيقة في مقالتي!!! لقد نشرت الصَّحيفة الأمريكيَّة أنَّ المواجهة التي حدثت في دوما كانت بَيْنَ النِّظام والإسلاميين!!!».

ختم فارس الحلو قائلاً: «يومها أدركت أنَّ هناك من سيلعب بنا، وأنَّ مواجهتنا يتمُّ التحضير لها جيِّدا».

ولٰكنَّه للأسف تأخر في فضح ذَلكَ. ولٰكنَّ الحقيقة مفضوحةٌ من دون نشر هٰذه المعلومة، الحقيقة واضحةٌ وكتبت فيها الكثير منذ ذَلكَ الحين استقراءً، ثمَّ جاءت المعلومات لتؤكد الاستقراءات.

الفصل الخامس

العالم اللاإنساني واللهو بمأساة السوريين

هل كان يتخيَّل أفلاطون وهو يخطِّط للمدينة المثاليَّة التي ينشدها للبشر أن يصل انحطاط البشر إلىٰ هٰذا الدَّرك الأحط من الأحط(٥)؟

هل كان يخطر في بال الفارابي وهو يرسم ملامح المدينة الفاضلة التي ينشدها للبشر أن يصل انحطاط البشر إلىٰ هٰذا المستوى؟

ومروراً بالأوغسطيني وسان سيمون وسيسموندي وتوماس مور وكامبانيلا وسائر الفلاسفة الذي رسموا أجمل الخيالات للمجتمعات

(٥) .كتب هٰذا المقال في ١٣/٣/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

المثاليَّة التي يجب أن يعيشها البشر... هل تخيَّل أحدٌ منهم أمثال سخافات البشر التي نعيشها اليوم؟

هي ليست سخافات في حقيقة الأمر، هي ممارسات صعبة الوصف، يصعب عليَّ أن أجد لها وصفاً يناسبها.

في الظروف العاديَّة من السَّهل عليك تفهُّم أنَّ العلماء يجعلون النَّاس حقول تجارب بإرادتهم أو بالتحايل عليهم. بل يمكنك تقبُّل ذلكَ في سبيل البحث العلمي... ولٰكن أن تتحوَّل مأساة شعبٍ غير مسبوقةٍ في التَّاريخ إلىٰ حقل تجارب، والتَّعامل مع هٰذه المأساة علىٰ أنَّها فأر تجارب، فهٰذا ما لا يخطر في بال.

يمكن توقع بعض الحالات الفرديَّة القليلة، علىٰ أنَّها الاستثناء الذي لا بُدَّ له من الوجود. بل أضيف فوق ذلكَ أنَّهُ من الممكن استيعاب هٰذا السُّلوك لو أنَّ الباحثين أنفسهم، أو مؤسَّسات، أو دولهم، أو المجتمع الدولي يقوم بواجبه، بل بنصف واجبه تجاه هٰذه المأساة. ولٰكن أن يتمَّ إهمال أسباب المأساة، والتَّغاضي عنها، والسكوت عليها... وتركيز الجهود معظمها علىٰ تحويل معاناة السُّوريين وآلامهم التي رُبَّما لم يعرف التاريخ لها فيما قبل مثيلاً... إلىٰ حقول تجارب وأبحاث ودراسات أكثرها سخيف تافهٌ، وكلُّها للبطر العلمي وليس من أجل الاستفادة منها في مساعدة السُّوريين في مأساتهم، فهٰذا ما لا يمكن أن يقبل ولا أن يصدق ولا أن يطاق.

نعم، هٰذه هي الحقيقة التي يجب أن يعلمها العالم البائس السَّفيه قبل أن يعلمها السُّوريون. وعلىٰ السُّوريين أن يعلموها جيِّدا ولا ينجرفوا وراء هٰذه التَّفاهات والسَّخافات؛ تفاهات وسخافات لأنَّهَا لا تقوم علىٰ أي نوايا حسنة،

ولا تقام في ظلِّ أدنى إحساس بمعاناتهم وآلامهم. العالم التَّافه السَّفيه حوَّل سوريا والسُّوريين إلىٰ حقل تجارب وميادين أبحاث نفسيَّة واجتماعيَّة وأركيولوجيَّة وتدريبيَّة.

سيستغرب الكثيرون مني استنكاري استثمار الحالات الاستثنائيَّة في دراسات وبحوث يمكن أن تخدم البشريَّة... أمرٌ مستغربٌ مني وأنا الباحث المحرض علىٰ البحث والمشجع علىٰ البحث والمدرس لأصول البحث وكتابة البحث.

الحقيقة التي يجب أن تكون واضحةً هي أنَّ الاستنكار ليس للبحث بحدِّ ذاته. ولست ممن يعترض علىٰ الاستفادة من المأساة السُّوريَّة في الوصول إلىٰ نتائج علميَّة تخدم العلم، تخدم البشريَّة في اكتشاف حقائق ومعطيات ومعلومات لم تكن مكتشفة، أو يعزُّ اكتشافها من دون تحقق مثل ظروف المأساة السُّوريَّة. ولٰكنَّ ما يحدث لا يمكن أن ينفصل عن السِّياق الذي اتمر به المأساة السُّوريَّة من تخاذل وصمت بل من غض الطرف عن جذر المأساة الذي ينمو نموًّا سراطانيًّا واللهو بمأساة السُّوريين وتحويلهم إلىٰ حقول تجارب صفيقة؛ كل يومٍ فريق بحث من ماركة غير مسجلة أو مسجَّلة يتسلَّل بَيْنَ السُّوريين وهم في قلب اللهب، ينهي بحثه ويمضي.

وما النتيجة؟

استمرار مأساة السُّوريين ومعاناتهم وعوزهم، في حين يقبض اللاهون بمأساتهم كميات الأموال والمكافآت من قبل جهات داعمة أو ممولة للأبحاث.

أكثر من تسعين بالمئة من الأبحاث التي تجرى علىٰ المشردين السُّوريين في الخارج والداخل تافهو بلا قيمة ولا معنى، نصابون أفاقون امتهنوا الاتجار بالمعاناة والألم، يقدمون مشاريع وهميَّة سطحيَّة سخيفة يقبضون عليها كميات الأموال

علىٰ أساس أنَّهُم يساعدون السُّوريين، وينهبون هٰذه الأموال ويتركون الشعب السُّوري يتقلب بَيْنَ ألسنة اللهب.

هٰذا وجهٌ اللهو والعبثيَّة بمأساة السُّوريين ومعاناتهم، هناك أوجه أُخْرَىٰ من الاتِّجار بالسُّوريين ومأساتهم ومعاناتهم وتشردهم، سنعود إليها لاحقاً.

تجار الحروب اسم شائع جدٌّ شائع منذ عشرات السِّنين وليس من الاصطلاحات الجديدة علىٰ الإطلاق. ولٰكن عندما نسمع هٰذا الاسم أو الوصف لا يخطر في بالنا سوى أنَّهُم الذين يقومون بتجارة السِّلاح والتَّربُّح من هٰذه التِّجارة.

تجار الحروب أيُّهَا السَّادة ليسوا من يبيع الأسلحة للمتقاتلين. صحِّحوا معلوماتكم من فضلكم. الذين يبيعون الأسلحة للمتقاتلين يسمون تجار سلاح؛ سيَّان أعلموا سرًّا أم عملوا جهراً. اسمهم تجار سلاح، اسمهم وسطاء تجارة سلاح. أمَّا تجار الحروب ففريقٌ آخر.

تجار الحروب وتجار الدماء سواء، هم أنفسهم، هم وباءٌ مثل السِّل يسلون بالمظاهر البراقة ويسلون عافية الناس بتجارتهم القذرة؛ تجارة الحروب.

الذين حولوا مأساة السُّوريين إلىٰ حقول تجارب وميادين نصب واحتيال هم تجار الدماء، هم تجار الحروب... هم مصاصي الدماء الذين يساهمون في استمرار نزيف الدم السُّوري من أجل أن يربحوا حفنة دولارات ويستمتعون بالجولات والرحلات بَيْنَ خيام تشردهم.

الفصل السادس

الأمم ا لمتحدة تغيث النظام

منذ ثلاث سنوات علَّق الكثيرون بأنَّ الأُمَم المتَّحِدَة تقدِّم المساعدات الإغاثيَّة للنِّظام[٦] والنِّظام لا يوصلها إلىٰ النَّاس المحتاجة. ومنذ ذَلكَ الحين علىٰ الأقل لم تتوقَّف شكوى السُّوريين المحتاجين من أنَّ النِّظام يسرق الإغاثات التي تقدمها الأُمَم المتَّحِدَة لهم، ويقدمها لشبيحته.

(٦) .كتب لهذا المقال يوم البيان ٢٠١٥/٥/٢٠م، ونشر في الفترة ذاتها.

أمس ٢٠١٥/٥/١٩م سيطر الثُّوَّار علىٰ معسكر المسطومة في إدلب، لم يفاجأوا بما وجدوه من كميات المساعدات الإغاثيَّة في المعسكر وهي ما زلت بأختام ولصاقات الأُمَم المتَّحِدَة من دون أي تغيير أو تبديل. كان النِّظام فيما سبق ينزع هٰذه اللصاقات والأختام أو يلصق فوقها، رُبَّما حَتَّىٰ لا يحرج الأُمَم المتَّحِدَة، ولا أظن أنَّهُ يشعر بالحرج من تقديمها لجنده أو شبيحته أو أنصاره. لم يعد النِّظام مضطراً لنزع اللصاقات والأختام، لا داعي لإضاعة الوقت... صار يوزعها من دون أي حرج.

هٰذه الإعاثات الأُمَميَّة التي وجدت في معسكر المسطومة بإدلب أعادت ذكريات معسكرات أُخْرَىٰ في حوران وغيرها سيطر عليها الجيش الحر ووجدوا فيها المساعدات الإغاثيَّة المقدمة من الأُمَم المتَّحِدَة منذ سنتين إلىٰ الآن وهي كما هي بأختام الأُمَم المتَّحِدَة ولصاقاتها.

لم يكن شيءٌ في تلك المعلومات من افتراءٍ أو ادِّعاءٍ أو كذبٍ. لقد كانت معلومات شهود عيان علىٰ ذٰلكَ. واستمر الأمر علىٰ ما هو عليه علىٰ مدار ما سبق من سنوات الثَّورة التي تقدم في الأُمَم المتَّحِدَة المساعدات الإغاثيَّة. وظلَّ التَّساؤل لماذا تفعل ذٰلكَ الأُمَم المتَّحِدَة؟ ما الغاية؟ ما القصد؟ هل تدرك ما تفعل؟ هل تجهل ما تفعل؟

والسُّؤال الأبرز الذي يختصرها جميعاً: هل كانت الأُمَم المتَّحِدَة ترسل هٰذه الإغاثات للنِّظام أم للشَّعب المنكوب المشرَّد المحتاج؟

أيُّ قول بأنَّهُ مساعدات للشَّعب المنكوب هو كلام هراء وغباء وافتراء، لأنَّهُ لا يصل منه شيء إلىٰ هٰذا الشَّعب علىٰ افتراض إرسال

المساعدات إليه، والأهم من ذلكَ لأنَّهُ من غير الممكن تصديق أنَّ الأُمَم المتَّحِدَة لا تعلم أنَّ النِّظام هو الذي يحاصر الشَّعب المنكوب ويمنع عنه الإغاثة، فكيف يمكن أن يوصل إليه الإغاثات المقدمة من الأُمَم المتَّحِدَة؟ وفوق ذلكَ كله عشرات الشكاوى والاحتجاجات وجهت إلىٰ الأُمَم المتَّحِدَة لتبيان أنَّ المساعدات التي تقدم لا يذهب شيء منها للشَّعب... إن كانت الأُمَم المتَّحِدَة تقدمها للشَّعب. هٰذا يعني بالضَّرورة أو ما بحكمها أنَّنا أمام أحد احتمالين:

إما أنَّ الأُمَم المتَّحِدَة تقدِّم الإغاثات للنِّظام بقصد مباشر من دون حرج أو حياء أو تردد، تضامناً معه بسبب قلة الموارد، والحصار العالمي المفروض علىٰ سوريا، وخوفاً عليه من الجوع... حَتَّىٰ لا يضطر للركوع.

أو أنَّ الأُمَم المتَّحِدَة تزعم أنَّها تقدم المساعدات الإغاثيَّة للشَّعب السُّوري المنكوب عن طريق النِّظام وهي تعلم أنَّ النِّظام لن يوصل هٰذه المساعدات الإغاثيَّة إلىٰ الشَّعب، لأنَّهُ لا يوجد أحدٌ في العالم لا يعلم علم اليقين أنَّ النِّظام هو الذي يحاصر الشَّعب ويجوعه ويمنع عنه الطعام والماء والدَّواء... فكيف يمكن الاقتناع بأنَّ من يقدم له الإغاثات ليقدمها للشَّعب مقتنع بأنَّهُ سيفعل ذٰلكَ؟ لا يقدم الإغاثات للشَّعب عن طريق النِّظام إلا من يريد أن يقدم المساعدات للنِّظام باسم الشَّعب.

في الحالين نحن أمام موقف أممي رسمي، لا يمكن القول إلا أنَّهُ موقف أممي رسميٌّ داعم للنِّظام السُّوري، مؤيد له، مغيث له، يقدم له المساعدات في مخالفة صريحة لأمرين أولهما ميثاق الأُمَم المتَّحِدَة ذاته، وثانيهما قرارات مجلس الأمن والأُمَم المتَّحِدَة ذاتها في الشأن السُّوري.

ذريعة الأُمَم المتَّحِدَة أنَّها تقدم المساعدات لطرفي الصراع. ما يحدث في سوريا مهما تطور وتعقد ليس صراعاً بَيْنَ طرفين، إنَّهُ ثورة علىٰ نظام، والنِّظام يقمع الثَّورة بوحشيَّة مطلقة. وعلىٰ افترض ذَلكَ، ولست ضد تقديم المساعدات للشَّعب السُّوري كله من أطيافه جميعها طالما هي بحاجة إلىٰ ذَلكَ، فلماذا تقدم حصة الشَّعب المنكوب الضعيف للنِّظام ليقدمها للشَّعب، لماذا لا يكون العكس؟ العكس مستحيل، حسناً، فهل يسوِّغ ذَلكَ تقديمها للنِّظام الذي لن يوصلها ويحرم منها الشَّعب؟

أن تقول الأُمَم المتَّحِدَة أو من يريد سفهاً أن يدافع عنها إن الأُمَم المتَّحِدَة لا تتعامل إلا مع دول. فهٰذا هراء يصحُّ في حالات السلم، أما في حالات الصراع، علىٰ التسليم بأن ما يحدث في سوريا، فنظام الأُمَم المتَّحِدَة يقول بوقوفها علىٰ مسافة واحدة من طرفي الصراع. فلماذا وقفت فقط مع طرف واحد علىٰ افتراض أن ما يحدث صراع بَيْنَ طرفين متوازنين ولو أدنى حدود التوازن.

ولٰكنَّ الحال في سوريا لا هٰذا ولا ذاك. الحال في سوريا ليس جديداً علىٰ الأُمَم المتَّحِدَة بحال من الأحوال. الحال في سوريا ليس صراعاً بَيْنَ طرفين، وإن جهدت أمريكا وأصنامها العرب لتصوير ما يحدث علىٰ أنَّهُ صراع، وتحويل الثَّورة إلىٰ صراع. ما حدث في سوريا إلىٰ وقت جدٍّ قريبٍ هو حرب إبادة شاملة مارسها نظام ضد شعبه، وقد اتخذت الأُمَم المتَّحِدَة ذاتها عشرات قرارات الحظر والحصار علىٰ هٰذا النِّظام من مختلف الأنواع والمستويات، يعني أنَّ الأُمَم المتَّحِدَة تخالف قراراتها وتتصرف عكسها، هي التي تخرق الحظر والحصار علىٰ النِّظام،

بل تخرقه بوقاحه غير محدودة، لأنَّ قرارات الحظر والحصار يمنع أحداً أن يبيع النِّظام أو يشتري منه أي أسلحة أو أغذية أو تجارة... والأُمَم المتَّحِدَة لا تفعل ذَلكَ بل تقدم للنِّظام مجاناً ما تقدِّمه شعوب العالم من مساعدات للشَّعب السُّوري المنكوب الذي يتعرض لحرب الإبادة.

هل يعقل ذَلكَ؟

إنَّهُ سؤال بلا طعم، سؤال سخيف، لأنَّ الواقع هو كذَلكَ فعلاً. الأُمَم المتَّحِدَة ليست نبع نقود ومساعدات، إنها تستلم المساعدات من مختلف دول العالم والمؤسسات في العالم لتقدمها للشَّعب السُّوري المشرد المنكوب فتقدمها للنِّظام الذي يقتل هٰذا الشَّعب ويمارس ضده حرب إبادة!!!

لا أعرف من كتب ألف ليلة وليلة، ولٰكنَّهُ لو كان حيًّا وعاش ما نعيشه لما وجد قدرة علىٰ التخيل ليكتب ألف وليلة، ولا حَتَّىٰ ليلة واحدة.

قد يستغرب الكثيرون هٰذا الكلام. أستغرب ممن سيتسغربون. إنَّ سلوك الأُمَم المتَّحِدة ينسجم انسجاماً تامًّا مع سياسات أمريكا وروسيا والنِّظام الإقليميِّ العربيكانيِّ... الأُمَم المتَّحِدة ليست مؤسَّسةً مستقلَّةً كما يُفترض وكما يجب، الأُمَم المتَّحِدَة مؤسَّسَةٌ باسم الشَّرعيَّة الدوليَّة والإرادة الدوليَّة تنفذ الرغبات الأمريكيَّة خاصَّة والغربيَّة عامَّةً وعلىٰ الهامش روسيا والصين... وما تبقى من دول مهمتها ضج بصمة الإبهام الأيسر علىٰ القرار لإسباغ الشَّرعيَّة الدوليَّة علىٰ تنفيذ المصالح الأمريكيَّة والغربيَّة عن طريق الأُمَم المتحدة.

إذا راجعنا مواقف الولايات المتَّحدة والدُّول الغربيَّة الأنظمة العربيكانيَّة من النِّظام السُّوري والثَّورة السُّوريَّة وجدنا أنَّها جميعاً كانت تقدِّم الدعم للنِّظام من تحت الطاولة، مختلف أنواع الدَّعم بما فيها الأسلحة من مختلف الأنواع. فكيف نستغرب أن تقدِّم الأُمَم المتحدة المساعدات الإغاثيَّة للنِّظام؟

كتبت مرَّةً قبل نحو سنتين أنَّ أساطيل الولايات المتحدة والدُّول الغربيَّة كانت قبل الثَّورة السُّوريَّة تضرب حصاراً خانقاً علىٰ الحدود السُّوريَّة لمنع وصول أيِّ صفقة سلاحٍ من أيِّ بلد في العالم إلىٰ سوريا، ولم يكن هناك قرار حظر تصدير السِّلاح إلىٰ سوريا. عندما بدأ النِّظام بقمع الثَّورة بوحشيَّة صارت قوافل الأسلحة ترد إلىٰ النِّظام من إيران وروسيا وكوريا ويوغسلافيا وتشيكيا علناً... ومع ذَلكَ لم تُصادر ولم تمنع شحنة أسلحةٍ واحدةٍ، ولم يعترض أحدٌ علىٰ تصدير السِّلاح إلىٰ النِّظام السُّوريِّ علىٰ الرَّغْمِ من صدور قراراتٍ أمميَّةٍ من مجلس الأمن الدولي بمنع تصدير السِّلاح إلىٰ سوريا!!!

هل هي مصادفات؟

مصادفة ما كان ولن يكون أغرب منها في تاريخ البشر أن نجد من يرى ذَلكَ مصادفة.

هي ليست المرة الأولى في تاريخ الأمم المتحدة. ولَكنَّهَا المرة الأولى في العالم العربي ضمن صراع عربي عربي داخلي. كانت في المرات السابقة كلها ضدَّ العرب وضدَّ المسلمين: تاريخ فلسطين والصَّهاينة كله من هٰذا القبيل إلا نثرات ذرِّ الرماد في العيون. في البوسنة والهرسك كاد يجب القول إنَّ جيش الأمم المتحدة يرتكب المجازر مع الصَّرب ضدَّ المسلمين... والقائمة طالت أو قصرت

الفكرةُ واحدةٌ والنَّتيجةُ واحدةٌ... يكفي أن تكون ممارسة واحدة مفضوحة علىٰ هٰذا النَّحو حَتَّىٰ توقف شعر رأسنا وتهز ضميرنا وتجعلنا نتلفت حولنا من هٰذه المؤسَّسة الدَّوليَّة التي يفترض أنَّها لسان الضَّمير الإنساني ويده.

ولٰكن لأنَّ الأمم المتحدة هي منشار مصالح الأقوياء وعلىٰ رأسهم الولايات المتحدة والدول الغربيَّة، وليست روسيا والصين إلا خشبتي رجلي كرسي، بات من الصَّعب عدم إلباس قبعة انعدام الوجدان الإنساني لهٰذه السِّياسة الغربيَّة. الغرب هو المسؤول الأول والأخير، لأنَّ الغرب هو قائد الحضارة البشريَّة اليوم، وهو ضابط إيقاعها، وشرطيها... لا يمكن إنكار أنَّ من حقهم بل من واجبهم تحقيق مصالحهم ولو علىٰ حساب مصالح الآخرين، بما هم أرباب الحضارة البشريَّة، ولٰكن ليس بهٰذه الازدواجيَّة أبدا، هم ليسوا مضطرين أبداً للازدواجيَّة، فكيف أن تصل ازدواجيتهم درجة تنفجر معها حساسات كل معايير وموازين الحرارة والضَّغط والكثافة والمقاومة والتَّوتُّر والتَّردُّد والوزن والطُّول والحساسيَّة والاستيعاب والفهم...

هٰذه ليست مبالغة، ولا مزاحاً، هٰذه هي الحقيقة، ورُبَّما يكون الواقع أشد قبحاً من ذٰلكَ كله.

ماذا يمكن أن يتوقع الغرب شعوباً وقادة من نتائج لهٰذه السِّياسات الغربيَّة؟

هم لا يتوقعون ولا يدركون إلا أنَّهُم يحقِّقون مصالحهم بالقوَّة واللين. ولٰكنَّهُم يزرعون ردود أفعال عنفيَّة تريد أن تثأر وتسترد حقوقها وكرامتها، لا بُدَّ ولا يمكن إلا أن تفجر يوماً قريباً أو بعيداً.

سوريا

الفصل السابع

هستيريا أوروبية من اللاجئين السوريين

جنون وهستريا تجتاح أروقة السِّياسة الأوروبية وكواليسها في الفترة الأخيرة(٧).

ما يحدث مريب مرعب يدعو إلىٰ الجنون والرُّعب والهلع والاستنفار بكل الطاقات والملكات والقوى المادية والمعنوية والبشرية...

(٧) .كتب لهذا المقال في ٢٨/٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

معهم حق، ما يحدث لا يطاق ولا يحتمل. هناك أرقام خيالية مهوله من المهاجرين الأفارقة والأسيويين دخلت إلىٰ أوروبا في الفترة الأخيرة، فحسب إحصاءات مؤسَّسات الأمم المتحدة، وهي دقيقة فيما يتعلق بأوروبا، خلاف إحصاءاتها في عالمنا العربي والإسلامي، حسب إحصاءات مؤسَّسات الأمم المتحدة هٰذه: منذ بداية ٢٠١٥ إلى اليوم أكثر من مئة أربعين ألف مهاجر إلىٰ أوروبا (طبعاً من كل آسيا وأفريقيا . إلىٰ كل أوروبا وخاصة دول الاتحاد الأوروبي).

الرَّقم هائلٌ، مذهلٌ، مدهشٌ، مرعبٌ... غير معقول، لا يمكن تصديقه، ولا قبوله، ولا احتماله: مئة وأربعين ألف. مئة وأربعين ألف مهاجر في ستة أشهر يا ناس، هل يمكن أن تحتمله أوروبا؟ هل يمكن لأحد أن يصدق أن أوروبا الصغيرة الضيقة، الرقيقة أن تحتمل مئة وأربعين ألف مهاجر؟

يااااااااالطيف الطف، ياااا لطيف

مئة وأربعين ألف واحد، مئة أربعين ألف بني آدم... نتحدث عن مئة وأربعين ألف بني آدم وليس مئة وأربعين ألف فروج، مئة وأربعين ألف بني آدم يعني أنهم سيسببون مجاعة لأوروبا، وأزمة مواصلات، وأزمة كهرباء، وأزمة ماء، وأزمة سكن وأزمة تواليتات عامة وخاصة وفي الطرقات زحمة وفي البيوت وحمة...

حقيقة الأمر يدعونا للإشفاق علىٰ الأوروبيين شعوباً وحكومات، ويفرض علينا التَّعاطف معهم، ودعوة الأمم المتحدة إلىٰ الإسراع في

تشريع إجازة قصف قوارب المهاجرين وإغراقهم بلا رحمة... ولا أظنُّ إلا أنَّهُم فعلوها أو سيفعلونها.

يعني ماذا ستحتمل أوروبا حَتَّىٰ تحتمل؟ والله شيء يبكي الحجر.

يجب أن نراعي وضع أوروبا المحرج، وفقرها، وصغرها أمام هٰذا العدد الهائل من المهاجرين الذي يربك الدول الكبرى والعظمى. فكيف لا يربك أوروبا وهي فقط ٢٥ دولة في الاتحاد الأوروبي. يعني لنكن واقعيين: ماذا تستطيع خمس وعشرون دولة فقط عدد سكانها أكثر من خمسمئة مليون فقط أن تفعل لمئة وخمسين ألف مهاجر؟!

وحَتَّىٰ لا نجور عليها وحَتَّىٰ لا نظلمها كلها دول صناعية، الدخل القومي لأقل دولة منها يعادل دخل الوطني العربي فقط، يعين يااااا دوب يكفي لتمشية أمورها وأمور عشرين دولة أُخْرَىٰ معها!!! فكيف يمكن لهذه الخمس وعشرين دولة أن لا تتكركب وتتكهرب وتتنرفز وتتوتر من مئة وخمسين ألف مهاجر؟!!

مسكينة هي الدول الأوروبية!! مضروبة بحجر كبير.

ونجد العذر للدول الأوروبية الخمس وعشرين إذا ما قارناها بدول عظمى وما تحتويه من لاجئين. يعني مثلاً الإمبراطورية الأردنية العظمى التي يبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠٠٠٠ بني آدم، ست ملايين بني آدم، لا تستضيف إلا فقط أقل من مليونين ونصف لاجئ. والإمبراطورية الأردنية مساحتها أصغر من أي مقاطعة في أي دولة أوربية.

الإمبراطورية اللبنانية العظمى أيضاً علىٰ الرَّغْمِ من إمكاناتها الأسطورية العابرة للحدود الزمانية والمكانية لا تستضيف أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ.

علماً أن عدد سكانها هائل لا يقل عن أربعة ملايين. ومساحتها حدث ولا حرج... بالكاد تكون حياً في ولاية بأي دولة أوروبية.

بربكم، أليس من الظلم أن نلوم القارة الأوروبية بعد هٰذه المقارنات؟

يعني أليس من العيب والعار نقارن إمكان الإمبراطورية الأردنية أو الإمبراطورية اللبنانية مع إمكانات الإتحاد الأوروبي؟ الفرق هائل لا يسمح بالمقارنة. يعني بصراحة إذا أردنا الإنصاف إذا استضافت الإمبراطورية اللبنانية لوحدها ثلاثة ملايين فكثير علىٰ القارة الأوروبية أن تستضيف أكثر من ثلاثة آلاف. فالإمبراطورية اللبنانية أو الأردنية تستوعب ثلاثة وأربعة ملايين لاجئ بارتياح، بينما الثلاثة آلاف لاجئ يرهقون دول القارة الأوروبية، بسبب تباين الإمكانات والمساحة الجغرافية بَيْنَ الإمبراطورية اللبنانية والدول الأوروبية الخمس وعشرين.

الفصل الثامن

ويستمر الكذب على السوريين

كانت القماقم مغلقة بإحكام، قليل من الشياطين كانوا خارج القماقم. ولٰكن منذ سنتين والقماقم تتفتح تباعاً بشدَّةٍ وكثرة. ولذٰلك لا تعجبوا، ولا تندهشوا: سترون الشياطين شخصيًّا عما قريب قريب[٨]...

رُبَّما كانت الثورة السورية سبباً ولٰكنَّهَا ليست كل الأسباب. الشياطين أصلاً موجودة. ولٰكنَّهَا كانت مقيَّدة. لن أذهب إلىٰ شياطين

(٨) .كتب هٰذا المقال في ١٥/١/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

الأرض، يكفي أن أسلط الضوء الذي يجب تسليطه اليوم على شياطين سوريا.

الذين دعسوا على زهور الربيع السوري.

الذين لعقوا من دماء الشهداء أموالاً تنعموا بها.

الذين يعيشون في فنادق خمس نجوم على حساب الثورة.

الذين ركبوا الثورة وسخروها لنزواتهم الشخصية وإشباع عقد نقصهم في الظهور والاستعراض والزعامة...

ها هم اليوم يعلنون أنَّ الثورة صارت رهينة الدول الإقليمية وغير الإقليمية وأن سوريا صارت مرتعاً لمخابرات أصغر الدول وأكبرها!!!

من رهنها لهم غيركم أيها الأوغاد السفلة القذرون؟؟؟

ألستم سدنتها على مدار ثلاث سنوات كاملة؟؟؟؟؟

هل دبت فيكم النخوة والشرف والوطنية بعد أن دمرتم كل شيء واستنفدتم فرص النهب والاستعراض والتفلسف... بل بعد أن انفضحتم وخرجتم بقوة الفضيحة من دائرة الفعل وانغلقت الأبواب أمامكم؟

ومع ذلك، ومع الانفضاح الكبير هي بعض الدول الإقليمية تعيد تدوير وتصنيع معارضين منهم لقيادة جديدة للثورة... ويستمر الضَّحك على لحى السوريين بسبب السوريين اللصوص والمعقدين...

أرجو أن لا يدافع أحد عن أحد منهم...

منذ البداية هذا ديدنهم والأدلة كثيرة.

منذ أن بدأوا عمدوا إلى إقصاء الكفاءات السياسية التي انشقت عن النظام كي ينفردوا في استعراض بلاهتهم من دون أن يفضحهم

أحد. أقصوا الكفاءات الكبيرة التي انشقت عن النِّظام بزعم أنَّهم أبناء البعث، أبناء النظام، أبناء لا أعرف ماذا... كل ذَلكَ كي يظلوا هم الزعماء ويتفردوا في الاستعراض التفلسف بعيداً عن الاختصاصيين الذين سيفضحون غباءهم... هٰذا إذا تركنا السَّرقات والعمالة والخيانة جانباً. والقصة أطول ن ذَلكَ.

منذ سنتين وأكثر وأنا أكرر بَيْنَ الحين والآخر عبارة: «إذا قتلتم كباركم أكلتكم كلاب أعداءكم...».

كان الكثير يضحك. وَذَهَبَ بهم الظَّن مذاهب شتَّى إلا إلىٰ الحقيقة.

المشكلة ليست في قيادات الثورة وحدها في حقيقة الأمر، المشكلة في عقلية كثير من أبناء الثورة ذاتهم، وهٰذا أمر طبيعي، فمن أين جاءات هٰذه القيادات؟

كثير من أبناء الثوار وأنصار الثورة والشعب السوري بهٰذه العقلية الإقصائية. والمصيبة فيها ليست إقصائية لمن يخالفني الرأي، وإنما هي إقصائية لمن ينافسني علىٰ منصب أو مكسب. لقد وجدت الكثيرين ممن ليسوا من قيادات الثورة بعقلية قيادات الثورة؛ عقلية الاستعراض وحب الظهور والتفلسف.

حسناً، أين أنتم من قوله تعالى: وَاسْأَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُوْن؟ وأين أنتم من: واسأل من كان بها خبيرا؟

لا يمكن أن تسير الأمور علىٰ خط مستقيم مئة بالمئة، ولٰكن عندما تؤول الأمور إلىٰ غير أهلها فلن تسير إلىٰ صواب أبداً... والدليل هو ثورتنا هٰذه التي طالت بغباء ولصوصية قاداتها ورهن الثورة للخارج...

سيوجد من يقول انشقوا خوفاً أو طمعاً أو غير ذَلكَ. هٰذا كلام لا يعتد به. فنحن لا نكشف عن القلوب، قد يكون وقد لا يكون... علينا بصورة الحدث وهو الانشقاق والتضحية... ومن يثبت عليه غير ذَلكَ يحاسب عليه في حين المحاسبة.

وعلى أيِّ افتراضٍ كان فإنه لا يوجد ما يسوِّغ أن يقود الثورة والجيش الحر أبو زحيط شداد الخيط، واللاطاط خراط البلاط، وأبو كدان سراق الدخان وقس علىٰ ذَلكَ... بذريعة أن السياسيين والضباط انشقوا عن النظام خوفاً من الثورة أو طمعاً بركوب الثورة. من غير المعقول ولا المقبول تخوين الجميع ولا تقزيم الجميع...

سيقول بعضهم إني أقول إن كل المنشقين ملائكة وعظماء!!!

يا أخي أنا لا أقول ذَلكَ. ولٰكن فيهم العظماء والمختصين الكبار وكثير منهم مخلصين. ومن عاد لحض النظام اسألوه لماذا عاد؟ هل عاد لأنه لم يحصل علىٰ مكاسب أم لأنه وجد حميراً يريدون ركوبه قيادته؟! ومثال أثير منذ أيام: أين القصير الذي غامر بحياته لإيصال الخمسين ألف صورة لحالات التعذيب والقتل في المعتقل؟ هل انشق هٰذا الرجل ليركب الثورة؟ هل انشق ليأخذ مكاسب من الثورة؟ هو ليس وحده كذَلكَ، الكثيرون مثله. ولٰكن نحن لا نريد أن نرى ولا أن نعترف.

لو كان يدرك لصوص الثَّورة حقيقة ما ينتظرهم لركبوا أول قطار إلىٰ خارج الكرة الأرضية... ولٰكنَّ الإنسان لا يصدق حَتَّىٰ يرىٰ... القذافي وهو يجلس علىٰ خازوق الإعدام كان يأمل أن يتم استبداله بكرسي السلطة من جديد... ولذَلك

يصعب تخيل رؤية لصوص الثورة وهم يهربون. سيظلون علىٰ أمل أن يستمروا أكثر وأكثر وأكثر.

ولٰكن إذا رأيتم لصوص الثورة يهربون فاعلموا أنَّهُ أتاهم اليقين بأن الثورة انتصرت... أو أتاهم الأمر من أولياء أمورهم بأن يسلموا النظام مقاليد أمور ما يتحكمون به من غير المال.

بشار الأسد ماضٍ في مشاريعه وكأنَّ شيئاً لم يحدث في سوريا. يتصرَّف وكأنَّ ما هو كائن ليس إلا بضعة إرهابيين أثاروا صخباً في عدة شوارع وسينتهي الأمر قريباً وتعود المياه إلى مجاريها وكأنَّ شيئاً لم يكن!!!

بشار الأسد لا يرى إلا أنَّهُ الرئيس وسيبقى الرئيس وسيكون ابنه حافظ رئيساً من بعده.

على الرَّغْمِ من أنَّ النظام أضعف من أن يصدق أحدٌ فإنَّهُ يتصرَّف بثقة وخطوات بعيدة المدى، ولا يعنيه الوقت بقدر ما يعنيه الانتصار أخيراً. بينما قادة الثورة يتصرفون ببلاهة وفوضى وعبثية وهبل ويظنون أن النظام يتصرف بعبط وهبل... ويفرحون بتصيد أخطاء ترميها مخابرات النظام طعماً لهم.

المخابرات أيها السادة تعمل بخفاء وخبث ودهاء لا يدركه إلا الشياطين. مخابرات العالم كله كذٰلكَ، وعلىٰ الشُّعوب أن تعي ذٰلكَ.

دائماً يسبقون تفكير الآخرين شهوراً بل كثيراً من السنين. والذي يوقعهم في شرِّ أعمالهم ويعكس دهاءهم وبالاً عليهم هو دهاء التاريخ وليس حركة الشعوب كما يتوهم الكثيرون.

حَتَّىٰ تفهموا دهاء التاريخ عودوا إلىٰ هيچل.

Hani Abbas

الفصل التاسع

ويستمر دي ميستورا في الكذب على الثورة

دي مستورا راجع حميانـاً، وأوَّل تصريحٍ أدلىٰ أنَّـهُ «لـن يتخلَّـىٰ عـن خطَّـة تجميـد القتـال في حلـب»، مهمـا كلَّفـه ذٰلـكَ مـن ثمـن. وكـأنَّ القضـية السـورية هـي قضـيته الشَّخصـية... ولٰكـن أيـن يقـف السـيد دي ميسـتورا؟ ومـن هـو الفريـق اذلي يمثله[٩]؟

لن نلف وندور، لقد كتبت مع تقديمه لنفسه وخطته بأنَّهُ يستحقُّ أن وزير المصالحة الوطنية في حكومة بشار الأسد بدل الوزير علي حيدر. يعني سلفاً، لن نكون

(٩) .كتب لهٰذا المقال في ١/١٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

أمام جديد. ومع ذلكَ إذا انتقلنا إلىٰ الخطوة التالية من تصريحه أمكننا أن نقترب قليلاً، فقد وصف هٰذه الخطَّة بأنَّها «بادرة حسن نية».

بادرة حسن نية ممن يا سيد ميستورا؟

يقول متابعاً: «بادرة حسن نيَّة يجب أن تعمم علىٰ أنحاء البلاد كافة».

إذن حسن النية يجب أن يكون من الشَّعب. علىٰ الشَّعب أن يطهر نفسه وأن يحسن النيَّة بالنظام ودي مستورا. النِّظام وميستورا لا حاجة لأن يبديا أيَّ حسن نية فنيتهم حسنة ولا أحلى منها نية.

هٰذا التَّجميد للقتال هو مكافأة للحلبيين علىٰ حسن نيتهم إذا صدقوه وأحسنوا نيتهم، فهو يتابع قائلاً: «إنَّ مبادرته تسعى لإعطاء مدينة آمنة للسوريين».

أكَّد دي ميستورا أنَّ «مصلحة السوريين تقتضي تجميد القتال». ولٰكن لا ندري مصلحة من السوريين ولا كيف ولا لماذا؟ لا شكَّ في أنَّ أحداً ستتحقق مصالحه من هٰذه المبادرة لدى تطبيقها، ولٰكن من هو هٰذا المستفيد وكيف؟

ويستمر بوقاحة صريحة في الضَّحك علىٰ السُّوريين، مثلما ضَحِكَ عليهم المجتمع الدولي منذ بداية الثَّورة، فيقول بصريح العبارة: «إنَّ الظُّروف حالياً تغيرت وطرأت مستجدات علىٰ السَّاحة تجبر الأسد علىٰ التَّفاوض وتجميد القتال».

هٰذه الطريقة والأفكار ذاتها التي كررتها أمريكا وأوروبا والعرب عشرات المرات منذ بداية الثورة لتسويغ عدم التَّدخُّل، وعدم دعم الثَّورة، وعدم دعم الجيش الحر، ودعم اتخاذ موقف، وهٰكذا.

لاحظوا جيِّداً ما الذي سيحدث، الذي يحدث وفق دي ميستورا أنَّ الظُّروف، الظُّروف هي التي ستفرض علىٰ الأسد التَّفاوض وتجميد القتال وليس تسليم السُّلطة، ولا سلطة انتقاليَّة، ووعود إصلاحيَّة ولا أدنىٰ طلب من مطالب الثَّورة. فقط تجميد القتال والتَّفاوض. وهٰذان أصلاً هما مطلب النِّظام ذاته منذ بداية الثورة السِّلميَّة وإلىٰ

الآن. كانت طلباته تجميد المظاهرات والتفاوض الذي كان يجريه علىٰ قدم وساق. ثمَّ مع الثَّورة المسلحة صارت الهدن والمصالحات والمفاوضات التي ما زالت علىٰ قدم وساق أيضاً.

إذن ما جديد دي ميستورا؟؟

الذي يبدو واضحاً صريحاً لا لبس فيه أن ميستورا حمل خطة النظام ذاتها وراح يسوقها بالطريقة ذاتها من دون أي إضافات أو تعديلات علىٰ الإطلاق، وبدل أن يقوم وزير المصالحة أو ضباط المخابرات بتطبيقها سيقوم هو بتطبيقها.

الجديد الذي لفت دي مستيورا الانتباه إليه هو ما أشار إليه منذ طرح الخطة قبل أشهر، وهو أنَّهُ يجب أن يتَّحد الجيش الحر والنظام لمحاربة الدولة الإسلامية، وقال ذَلكَ بوضوحٍ وصراحةٍ سابقاً، وبوضوح وصراحة في تصريح أمس، قال: «إنَّ أبرز تلك المتغيرات هي سيطرة داعش علىٰ ثلث مساحة سوريا، بالإضافة إلىٰ اقتناع الأسد باستحالة تحقيقه أيَّ نصرٍ عسكريٍّ علىٰ الأرض».

جميل جدًّا، لنلاحظ جيِّداً مرَّةً أُخْرَىٰ. الجديد ليس أيُّ ضغطٍ دوليٍّ ولا إقليميٍّ، ولا وعود أممية ولا دولية ولا إقليمية... الجديد اقتناع بشار الأسد أنَّهُ لن يستطيع أن ينتصر عسكرياً، ووجود الدولة الإسلامية، وبشار الأسد بحاجة إلىٰ مساعدة ومؤازرة في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة، ولا بديل عن الجيش الحرِّ لمساعدته في ذَلكَ لعدم رغبة أيِّ دولةٍ في الدخول إلىٰ سوريا لمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة. وقد أوضح ذَلكَ ميستوراً بمفضوحيَّة عالية الجودة إذ قال بوجوب «التركيز أكثر علىٰ قتال داعش التي باتت تبعد عن حلب أقل من ٢٠ كيلو متر».

ثمَّ ماذا بعد هٰذا الوضوح؟

ماذا بعد أن تتم المصالحات وتجميد القتال في كل سوريا والقضاء علىٰ الدولة الإسلامية بعد بضع سنوات إن حدث ذَلكَ؟

هل سيعود السُّوريون إلىٰ ثورتهم من جديد؟

هل سيترك بشار الأسد السُّلطة ويرحل؟

إذا كان بشار الأسد في أحلك الظُّروف والضُّغوط والتَّهديدات وأشد حالات الضَّعف لم يقدِّم تنازلاً واحداً للثَّورة والشَّعب، فهل يمكن أن يفعل شيئاً من ذَلكَ عندما تنقلب كل الموازين لصالحه؟

وإذا كان المجتمع الدولي في ما مضى من مراحل لم يستطع أن يفرض علىٰ بشار الأسد أي تنازل ولا أدنى تنازل للثورة والشعب فهل سيستطيع شيئاً من ذَلكَ بعد أن تعود للنظام نقاط قوته وتنقلب الموازين لصالحه؟

إذا من الهبل والخبل والغباء عدم النظر إلىٰ خطة دي ميستورا علىٰ أنَّها ليست لإعادة تأهيل للنِّظام السُّوري وإعادة ترتيب أوراق قوَّة النِّظام وإعادة المبادرة الكاملة للنِّظام برضى الثورة وقبولها وبوسة يد علىٰ البيعة أيضاً. أي إنَّ الثَّورة خارج كلِّ الحسابات، والشَّعب خارج كلِّ الحسابات. وكل ثورة وأنتم سالمون.

الفصل العاشر

هل تقوم تركيا باجتياح سوريا؟

من خطير ما تتداوله وسائل الإعلام أنَّ أمريكا تفكر بتكليف تركيا باجتياح سوريا واقتلاع الأسد وداعش معاً[١٠].

الاقتراح فيه من الذَّكاء الاصطناعي ما يهبل الهبل. يبدو أن الكمبيوتر الذي يفكر لأمريكا يتعاطى المنشطات الانشطاريَّة، فأمريكا كما يقول السِّياسيون الأمريكيون وكثير من المحللين السياسيين، لا تريد التَّورط في حرب بريَّة في سوريا والعراق، وقد أشرت إلى ذلك في عدد من

(١٠) .كتب لهذا المقال في ٣/٢/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

اللقاءات التلفزيونيَّة قبل الحرب على الدولة الإسلاميَّة وأثناءها قبل أن يصرحوا به. ولا أعود إلىٰ تفاصيل الأسباب التي باتت واضحة لكل المهتمين والمتابعين.

في هٰذا السياق تابعنا من بدايَّة الحرب علىٰ الدولة الإسلاميَّة حملات الشَّد والجذب بَيْنَ العالم الغربي عامة وأمريكا خاصَّةً من جهة وتركيا من جهة ثانيَّة من أجل اضطلاع تركيا بدور محوري في الحرب البريَّة علىٰ الدولة الإسلاميَّة، تعتيماً علىٰ دور إيران في هٰذه الحرب وكونها سنداً أساسيًّا للتحالف، من أجل إظهار أن الحرب بَيْنَ السنة والسنة فقط وأنَّ السنة هم الذين يطهرون أرضهم من السنة، وأن أمريكا لا تقف مع الشيعة ضد السنة...

لأنَّ الجيوش العربيَّة ما بَيْنَ عجزٍ وحرجٍ في أن تكون هي الجيوش البريَّة في هٰذه المعركة لا بديل عن تركيا لأسباب كثيرة من أن تكونن هي رأس الحربة في الحرب علىٰ الدولة الإسلاميَّة. ولأنَّ تركيا وضعت إسقاط الأسد في سياق الحرب علىٰ الدولة الإسلاميَّة رفضت أمريكا وكثير من الدول الإقليميَّة هٰذا الشَّرط، فكانت الحرب علىٰ تركيا التي سبق الكثير من الكلام فيها. حَتَّىٰ اضطر رئيس الوزراء التركي أحمد داوود أوغلو في ٢٠١٤/١٠/٦م إلىٰ التساؤل بوضوح: «لماذا نحن مطالبون بحمايَّة الأكراد في عين العرب ولم يطلبوا منا حمايَّة العرب!؟».

وفي في ٢٠١٤/١٠/٣م علقتُ في منشور مقتضب علىٰ الاحتجاج السُّوري الإيراني علىٰ اشتراك تركيا في التحالف بأنَّهُ ليس إلا لأنَّ تركيا اشترطت أن يكون إسقاط النِّظام جزءاً من مهمة التحالف... لو لم تشترط ذٰلكَ كما

فعلت الدول العربيَّة لكان اشتراكها مرحب به... بل هو ما تكاد تتوسل أمريكا لها كي تفعله.

مع تطور الأحداث وتصاعد صمود الدولة وإخفاق حملة التحالف ضد الدَّولة الإسلاميَّة والاقتناع التام، وهو غير جديدٍ أساساً، باستحالة حسم المعركة من الجو، والحرج الذي صار يتعرض له التحالف الدولي... انتقلت أمريكا إلىٰ لعبة جديدة. نعم هي لعبة. وهي البدء بالترويج بأن الولايات المتحدة تريد تكليف، لاحظوا تكليف تركيا باجتياح سوريا للقضاء علىٰ الدولة الإسلاميَّة ونظام الأسد. طالما أن إسقاط الأسد هو الشرط التركي. علىٰ أساس أنَّ تركيا بيدقٌ أمريكيٌّ يتحرك كيف يشاؤون، وعلىٰ أساس أنَّ قيام تركيا بهٰذه المهمة:

هو مصلحة تركيَّة تتحرَّق تركيا لتحقيقها.

وهو نزهة تركيَّة في يوم ربيعي في ربوع سوريه.

وهو رغبة تركيَّة ملحة وأمريكا هي التي تعيقها.

وكل ذٰلكَ وهم مخالف للواقع ومخالف للحقيقة. قبل ذٰلكَ هٰذا التكليف هو تلميح محض الآن، وهو بمنزلة روز لرد الفعل التركي، جاء ذٰلكَ في حوار تلفزيوني في برنامج «وجه الأمة» في قناة «سي بي إس» الأميركيَّة وقد نقله موقع العربي الجديد علىٰ لسان جيمس بيكر وزير الخارجيَّة الأميركي الأسبق الذي بما يحاول الأمريكا تسويقه علىٰ أنَّهُ بداهة وهو «أنَّهُ يتَّفق مع الرئيس باراك أوباما في عدم صوابيَّة توريط أمريكا في معارك بريَّة في سوريا والعراق». وأعقب ذٰلكَ بما صار يردده الجميع تقريباً من أنَّ «الحملات الجويَّة وحدها لا يمكن أن تحسم المعركة

ضد الدولة الإسلاميَّة»، ولٰكنَّهُ أضاف هنا تخصيصاً «في سوريا على وجه التَّحديد» علىٰ أساس أنَّها ستجدي في العراق.

وانتهى من هٰذا التَّمهيد إلىٰ «أنَّ البديل الأنسب هو تكليف تركيا بغزو سوريا لاقتلاع الدولة الإسلاميَّة ونظام بشار الأسد في ضربة واحدة»، وكأنَّ سوريا رقعة شطرنج وبقيت حركة كش ملك... مات الملك.

هٰذا الكلام النتيجة هو الرسالة الأساسيَّة من التمهيد. وهو معطوف علىٰ قوله أتفق مع الرئيس أوباما، ولٰكن من غير الواضح ما إذا كان هٰذا الاقتراح هو وجهة نظر أوباما أم جيمس بيكر فقط، السياق يدل علىٰ أنَّهُ هو اقتراح بيكر، ولٰكنَّهُ في الحالين هو إغراء لتركيا بدخول هٰذه المغامرة علىٰ أساس ما أشرنا إليه وسنعود إليه بعد قليل.

قبل هٰذه الإغراءات أريد أن أتساءل وأوجه السؤال للسيد بيكر الذي قال في اللقاء ذاته «الجيش العراقي لا يقوم بالدَّور المطلوب حاليًّا داخل الأراضي العراقيَّة، وهناك حاجة للمزيد من التدريب والتأهيل للقوات العراقيَّة لتقوم بدورها»، لماذا قلت إذن إن الحسم في سوريا لا يكون إلا بالتدخل البري بينما يمكن ذٰلكَ في العراق؟ سأعود للجواب في الختام.

في سياق الإغراءات التي يقدمها بيكر، سبراً لرد فعل الأتراك، يقول: «إنَّ الأتراك يريدون اقتلاع الأسد، وأوباما يقول يجب أن يرحل الأسد، والطرفان يريدان تدمير (داعش)، فلماذا لا تقوم تركيا بالمهمة وهي عضو في حلف شمال الأطلسي ويبلغ عمر تحالفها مع الولايات

المتحدة ٦٠ عاماً، ولدى تركيا جيش قوي قادر على خوض حرب بريَّة وأداء المهمتين بنجاح داخل سوريا؟». وتابع في السياق ذاته: «لماذا لا تعمل إدارة أوباما مع تركيا لإسقاط الأسد وتدمير (داعش) على حدٍّ سواء، ما دام هناك التقاء مصالح في ذَلكَ؟».

السؤال الذي يفرض ذاته هنا، وقد تحدثت فيه كثيراً منذ بدايَّة الثَّورة السُّوريَّة: هل تريد الولايات المتحدة فعلاً إسقاط نظام بشار الأسد؟ وما شأن التلميحات الكثيرة والتصريحات الأكثر المخالفة لذلك؟ ولماذا ثارت ثائرة أمريكا عندما اشترطت تركيا في بدايَّة الحرب على الدولة الإسلاميَّة ان يكون إسقاط الأسد على أجندة التَّحالف؟

أسئلةٌ ستظلُّ منتصبةً بقوَّةٍ أمام أيِّ محاولةٍ لليِّ عنق الحقيقة.

والحقيقة التي ستظلُّ منتصبةً بقوَّة إلى جانب هٰذه الأسئلة هي أنَّ أمريكا تريد أن تحسم الصراع لصالحها بجنود خصومها أنفسهم. وقد كرَّر بيكر في هٰذا اللقاء ما كرَّره المسؤولون الأمريكيون على مدار الشهر الماضيَّة من أنَّهُ من وجهة نظره، وهي وجهة نظر الأمريكيين عامة، «لا ينبغي التورط بإرسال قوات أميركيَّة للقتال البري في العراق أو سوريَّة»، صحيح أنَّهُ لا يمكن حسم المعركة إلا بقوات بريَّة، «ليس من الضَّروري أن تكون القوات أميركيَّة».

وإذا كانت تركيا تبحث عن الشرعيَّة، وهي لا تحتاج إلى ذَلكَ بطبيعة الحال، والمقصود بالشَّرعيَّة عدم إثارة نقمة شعوب المنطقة عليها، فالشرعيَّة ستكون بمشاركة جيوش دول عربيَّة مع تركيا في اجتياح سوريا،

سوريا فقط. وقد علمنا أن الدول العربيَّة بصمت بالعشرة على المشاركة والرافض الوحيد هو تركيا. ولا قيمة لأيِّ جيش ما لم يكن الجيش التركي عماد الاجتياح. وتابع في الإغراء بأن التمويل مضمون، وأمريكا ستتولَّى القصف الجوي، الغطاء الجوي، وكأن تركيا ينقصها غطاء جوي أن تنتظره، وكذلكَ ستساهم أمريكا بالإمدادات اللوجستيَّة والمعلوماتيَّة والاستخباراتيَّة.

ما عجزت عنه سياسة التهديد والوعيد الأمريكيَّة في إقحام تركيا في المعركة البريَّة ضد الدولة الإسلاميَّة طيلة الشهور الماضيَّة تريد الآن تحقيقه بالإغراء والإغواء. وبماذا تغريها وتغويها؟ بما يضر لا يسرها!! بما لا ترغبه ولا تريده لا بما ترغبه وتريده!!

هنا إذن أعود إلىٰ الأساس الذي بنى عليه كيري إغراءاته من أنَّ قيام تركيا بهٰذه المهمة: هو مصلحة تركيَّة تتحرَّق تركيا لتحقيقها، وهو نزهة تركيَّة في يوم ربيعي في ربوع سوريا، وهو رغبة تركيَّة ملحة وأمريكا هي التي تعيقها. وقلت إنَّ هٰذه كلها أوهام لا أساس لها من الصحة. لأنَّ تركيا لا تريد الوصول إلىٰ الهدف بهٰذه الطَّريقة، بأن تحمل عبء المجتمع الدولي كله، ولا تريد أن تضع نفسها في مواجهة العرب والمسلمين بدلاً عن الغرب أو المجتمع الدولي. ناهيكم عن أنَّ هٰذه المغامرة، وإن كانت الحل شبه الوحيد أمام أمريكا، فإنها مغامرة قد تودي بتركيا.

أمريكا في حقيقة الأمر تغرِّي تركيا بما سيؤدِّي إلىٰ دمارها سياسيًّا واقتصاديًّا، ما عجزت عنه الأنظمة التي تريد القضاء علىٰ النَّجاح التُّركي تريد أمريكا أن تجعل تركيا تقدم عليه من تلقاء ذاتها. توريطها في حرب

لا نهايَـة لهـا، ولا يعـرف أحـد تكلفتهـا علـىٰ مختلـف المسـتويات، وإشـغالها مـن ثَمَّ بحـرب تجعلهـا تتآكـل مـن الـدخل وتهـوي مـرة واحـدة وتنـدثر تجربـة نجـاح تجربـة الإسـلام السياسـي في السُّـلطة، وتنهـار الشـعبيَّة الـتي حققهـا في العالم العربي والإسلامي.

والمصـيبة فـوق ذَلـكَ كلـه أنَّ أمريكـا سـتقدِّم العـراق لقمـةً سـائغةً لإيـران، لأنَّ أمريكـا ذاتهـا سـتكلف إيـران باجتيـاح العـراق لإحـداث تـوازنٍ سـنيٍّ شـيعيٍّ في المنطقـة، علـىٰ حسـب فهمهـم المحـدود، أو فهمهـم لمصـالحهم وفيـه غبـاء أيضـاً. وتكـون تركيـا هـي الـتي دفعـت الـثمن كـاملاً وخسـرت كـل شـيء، لأنَّ الفـرق هائـلٌ، بـل لا يجـوز المقارنـة بَـيْنَ تـورط تركيـا في الحـرب في سـوريا وتـورط إيـران في الحـرب العـراق، فـالعراق أصـلاً تحـت السَّـيطرة الإيرانيَّـة ولـن تتكلـف فيـه شـيئاً، بينمـا سـوريا بـؤرة صـراع مفتـوح علـىٰ احتمـالات مجهولـة ضـبابيَّة. وبيكـر ذاتـه قـال: «أمَّـا في سـوريَّة فـإنَّ الوضـع مختلـف تمامـاً وأكثـر تعقيـداً، ولهٰـذا فـإنَّ الفكـرة المثلـى هـي أن نعمـل علىٰ جعل الجيش التركي يتوَّلى المهمة ويجتاح سوريَّة».

علىٰ سبيل السُّؤال، هل هٰذا دهاء أمريكي؟

الحقيقة التي تبدو أنَّها بلاهة أمريكيَّة بامتياز، وإنما الذي يجعل أمريكا واقفة علىٰ قدميها هو القوة العسكريَّة وإلىٰ حدٍّ ما الاقتصاديَّة التي تجعلها تفرض ما تريد علىٰ العالم بالقوة وليس بالفطنة ولا الذكاء.

في ظـنِّي، لـن يتـورَّط الأتـراك في ذَلـكَ إلا إذا افتقـروا إلىٰ أوليَّـات السِّياسـة والاسـتراتيجيا. هـم حَـتَّىٰ الآن يلعبـون السياسـة بامتيـاز. فهـل سيستمرون في ذَلكَ؟

إن استمروا استمر تنوع الضغوط عليهم ما بَيْنَ تهديد ووعيد، وإغراءات وإغواءات. الغرب مضطر لذلك مرغماً إرغاماً شديداً لأمرين: حاجتهم الماسة لتركيا في هٰذا الموضوع تحديداً، ورغبتهم في توريط تركيا بصراع يجعلها خصم العرب والمسلمين من جهة، ويمتص فورة نجاح الإسلام السِّياسي في العالمين العربي والإسلامي. أي إنَّ التَّحديات أمام تركيا عظيمة وعليها أن تعرف كيف تنسج استراتيجياتها للمرحلة القادمة.

أعود هنا إلىٰ مقال قصير نشرته في ٢٠١٣/١٢/٢٥م في المدونة والفيسبوك تحت عنوان «جاء دور تركيا»، كتبت فيه:

منذ إسقاط حكم الأخوان في مصر تفرغ فريقٌ من الجوقة الاختصاصيَّة لإسقاط حكم الحريَّة والعدالة في تركيا.

بعض السُّوريين سيربطون ذٰلكَ بموقف أردوچان من الثَّورة السُّوريَّة.

بعض المصريين سيربطون ذٰلكَ بموقف تركيا من الانقلاب.

والحقيقة ليست هنا ولا هناك.

تركيا كانت سبب إسقاط حكم الأخوان.

وسقوط حكم الأخوان سبب للسعي لإسقاط حكم أردوچان.

والمستشارون والمخطِّطون عرب مسلمون تحديداً.

لا يجوز أن تعمم تجربة نجاح حكم الإسلاميين.

لا يجوز أن تكون قدوة.

يجب أن يظلَّ الإسلاميون ملاحقين محاربين.

كما يحدث الآن في مصر...

والتَّفاصيل آتيَّة.

التَّفاصيل التي قلت عنها إنها آتيَّة بعضها جزء مما سبق، وبعضها تمَّ التَّوسُّع فيها في بحث مطول عن الإسلام السِّياسي والسُّلطة[١١].

(١١) . لهذا موضوع كتابي: **خطر نجاح الإسلام في السلطة؛ قراءة في التجربتين التريكية والمصرية** . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.

الفصل الحادي عشر

الثورة السورية والتهريج الأوبامي

أوباما يهرج من جديد[١٢] عبارة استخدمتها مرَّات كثيرةٍ في إطار تعامله مع الثَّورة السُّورية علىٰ نحو خاصٍّ. ليس بيدي في حقيقة الأمر، وإنَّما السُّلوك الأوبامي مع الثَّورة السُّوريَّة يستحقُّ مثل هٰذا الوصف بجدارة، ويتأكَّد استحقاقه ذٰلكَ لأنَّهُ كرر هٰذا التَّهريج مراراً. لا يمكن فهم سلوكه وتصريحاته مع الثَّورة السُّوريَّة إلا أنَّها ضرب من التَّهريج.

(١٢) .كتب هٰذا المقال في ٢/١٩/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

في مؤتمر مكافحة العنف لدى المتطرِّفين الذي انعقد بواشنطن في ٢٠١٥/٢/١٩م أطلق جملة من التَّصريحات التي أيقظت فينا واجب السُّخرية من هٰذا التَّهريج.

التَّصريح الأكثر أهميَّة حسب تيرمومتر إعلام الثَّورة السُّوريَّة هو قوله: «إنَّ حرب النِّظام السُّوري ضدَّ شعبه أدَّت إلىٰ انتشار الإرهاب وعلينا مكافحة تنظيم الدولة أيديولوجيًّا كما نحاربها عسكريًّا».

تلقَّف ثوار الفيس والتِّيس بوك وغيرهم كثيرٌ هٰذا التَّصريح وداروا به عرضاً واستعراضاً وابتهاجاً كمن أخرج الزير من (البير)، أو كمن جاء بالذيب من ذيله. كيف لا وقد قال أوباما بأنَّ حرب الأسد ضدَّ شعبه أدَّت إلىٰ انتشار الإرهاب!!! يا الله، أوباما يقول أنَّ الأسد يحارب شعبه، يا الله!!!

فَرَحٌ يشبه فرح الأهبل بالمطاطة، أو التزحيط علىٰ الشحاطة!!!

لا أدري بل لا أريد أن أدري مصدر هٰذا الابتهاج إن كان احتفالاً باعتراف أوباما بأن الأسد يحارب شعبه أم سعادة باكتشاف أنَّ أوباما اكتشف أن حرب الأسد علىٰ شعبه أدَّت إلىٰ انتشار الإرهاب. لا أظن ثَمَّة احتمالاً ثالثاً. والاحتمالان كلاهما مخزٍ إلىٰ أبعد الحدود، مخز لمن فرح بهٰذا التَّصريح ومخزٍ لأوباما والإدارة الأمريكيَّة معاً.

المعذرة من تكراري أني قلت وقلت، ولٰكنَّ القهر هو الذي صار يدفعني للتذكير بحقائق مسجلَّة بتاريخها وساعتها بفضل الإنترنت. منذ ثلاث سنوات وأنا أكرر في مختلف لقاءاتي الشَّخصيَّة والتلفزيونيَّة وكتاباتي علىٰ مواقع التواصل الاجتماعي أنَّ أمريكا هي المسؤولة عن التطرف

ووجود الإرهاب وليس النِّظام السُّوري. النِّظام السُّوري مثل أيِّ نظام يدافع عن وجوده، ولا أدافع عن سلوكه أبداً. ولٰكنَّ العهر الحقيقي هو ما كان من موقف أمريكا والدُّول العربيَّة التي حاصرت الثَّورة وأشعرتها بالقهر، وفرضت علىٰ الشَّعب السُّوري وكثير من أبناء العالم العربي والإسلامي وحَتَّىٰ الأوروبي يشعرون بالقهر من هٰذه الازدواجيَّة الغربيَّة والأمريكيَّة خاصَّة، وتتكون لديهم ردود أفعالٍ عنفيَّة تجاه ما يرونه من ساديَّة أمريكيَّة في التعامل مع الثَّورة السُّوريَّة علىٰ نحو خاصٍّ. وقد حذرت مراراً من أنَّ هٰذا السُّلوك، الذي لم يكن ينتبه إليه أحد حينها، سيؤدي إلىٰ هٰذه النتيجة، سيؤدي إلىٰ وصولوهم إلىٰ نفق مسدود، يجعلهم يترجمون علىٰ أسامة بن لادن الذي سيكون أنموذجاً للاعتدال حينها.

ومع ذٰلكَ، حَتَّىٰ هٰذا اليوم، حَتَّىٰ هٰذا التَّصريح الأوبامي يبدو أن الولايات المتحدة لم تتعلم من الدرس، ولم تعي شيئاً من أخطائها، وأنَّها لا تريد أن تفهم ولا أن تتعلم. لنتابع القسم الثاني من التَّصريح السابق ذاته. يقول: «إنَّ حرب النِّظام السُّوري ضدَّ شعبه أدَّت إلىٰ انتشار الإرهاب ((وعلينا مكافحة تنظيم الدولة أيديولوجيًّا كما نحاربها عسكريًّا))».

لاحظوا جيِّداً، الأسد سبب وجود الإرهاب نحن سنحارب الإرهاب. ماذا يمكن أن يفهم من ذٰلكَ، وإلىٰ أن يقود تفكير الشعب السُّوري وأبناء المنطقة بل أي واحد يفكر تفكيريًّا موضوعيًّا؟ الأسد ينتج الإرهاب ونحن سنشكره ونصحح أخطاءه، ونتركه لينتبج إرهاباً جديداً

ونصحح أخطاءه من جديد. الأمر بهٰذه البساطة تماماً، المقدمات ذاتها تؤدِّي إلىٰ النَّتائج ذاتها، منذ أوائل عام ٢٠١٢م وهٰذه هي المقدِّمات الأمريكيَّة ذاتها في التَّعامل مع الثَّورة السُّوريَّة، لم تتغير أبداً.

أنا شخصيًّا لا يشرفني أبداً أن يسقط النِّظام السُّوريَّة لا بيد أمريكا ولا بالسلاح الأمريكي ولا بالدعم الأمريكي ولا بالقرار الأمريكي. ليس لأنها لن تفعل شيئاً من هٰذا القبيل من دون ثمن، وإنما لأنه عار علىٰ الثَّورة أن تنتصر بيد غيرها، الثَّورة التي تنتصر بيد غيرها ستكون رهينة لغيرها. لا يوجد من يدعم الثَّورات لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكوراً. فضلاً عن ذٰلكَ الثمن الذي تريده أمريكا باهظ لا يطاق ولا يقبل. الثمن الذي تريده أمريكا لا يقبل به سوري فيه شرف أو كرامة. أمَّا من لا يعلم ماذا تريد أمريكا فهٰذه مشكلته، ومن لا يعلم لا يحقُّ له أن يفتي فيما لا يعلم. لأنِّي سأجد غيرَ واحدٍ يقول فلتأخذ أمريكا ما تريد المهم أن تخلِّصنا من النِّظام. هٰذا كلام غير مسؤول في أحسن الظنون.

ولماذا نبتعد كثيراً عن التوقيت والموضوع، اليوم أيضاً أعلنت الولايات المتحدة أنَّها ستزود الجيش الحر «بأجهزة اتصال مناسبة للعمل لإرشادات طائرات التَّحالف إلىٰ أماكن الإرهابيين»، أي للعمل كجواسيس متميزين لإرشاد الطَّائرات الأمريكيَّة إلىٰ مواقع الدَّولة الإسلاميَّة. قالت ذٰلكَ بوضوح لا لبس فيه ولا خداع ولا تضليل، يعني لم تكذب عليهم وتقول لهم دلونا علىٰ مواقع النِّظام، أبداً، عملهم محصور بالتَّجسُّس علىٰ الإرهاب الذي أنتجه النِّظام.

ولماذا يا ترى؟

لأنَّ بنك الأهداف الأمريكي خاب وخسر، والطائرات الأمريكيَّة تحلق علىٰ ارتفاعات شاهقة خوفاً من السقوط بيد الدولة الإسلاميَّة. علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها كما يقولون مزودة بمانع الصيد بالصَّواريخ!!!

حَتَّىٰ أجهزة التجسس هٰذه لم تقدِّمها أمريكا للجيش الحر إلا لأنَّهَا عاجزة ولا تعرف ماذا تضرب وتريد من يتجسس لها الأرض ويضع لها لواقط خاصة لتوجيه القصف.

ثلاث سنوات وأمريكا تصرح كل شهرين أو ثلاثة اشهر بأنَّهَا ستدعم الجيش الحر، ونفاجئ بعد أيام بأنها ستدعم الجيش الحر بأسلحة غير قاتلة، كشَّاشة دبان مثلاً، أو مسدس بخاخ دهان!!! ثُمَّ نفاجئ بعد أشهر بأنَّهَا لم تقدِّم حَتَّىٰ هٰذه الأسلحة غير القاتلة... وأنَّها كانت تكذب، وتكذب، لأغراض تحدثنا فيها في مواضعها وحينها.

اليوم انتقلت الولايات المتحدة إلىٰ تجنيد الجيش الحر كجواسيس علناً. لم يعد الأمر سرًّا، ولا مخفيًّا، ولا يمارس بأدنى خجل.

طوبى لكم ايها السُّوريين.

لم تثق فيكم أمريكا لتعطيكم أيَّ سلاح حَتَّىٰ غير قاتل، ولٰكنَّهَا تثق فيكم كجواسيس. وحَتَّىٰ هٰذه الثقة كجواسيس لم تأتي إلا لعجز أمريكا عن إصابة أهدافها ضد تنظيم الدولة الإسلاميَّة التي فيما يفترض أن النِّظام صنعها، وتريد أمريكا الحفاظ علىٰ النِّظام ومحاربة مخلفاته ومنتجاته!!!

مضطر لأعود إلىٰ فكرة واحدة من تدريب المعارضة علىٰ أمريكا تدريباً دفاعيًّا، فقط للدفاع عن أنفسهم إذا هاجمهم النِّظام، ولا يحق لهم الهجوم ولا

ترك مناطقهم، ولا تحرير مناطق جديدة!!! بل حَتَّىٰ لا يريدونهم في محاربة الدولة الإسلاميَّة حَتَّىٰ لا يقدموا لهم السلاح، بينما قاموا بمغامرات عجيبة ومخاطرات مدهشة لإيصال السِّلاح للأكراد والأيزيديين.

قلت وكررت كثيراً منذ سنتين وأكثر في كتاباتي وفي لقاءات تلفزيونيَّة: «أمريكا تريد جواسيس وعملاء لتدربهم ولا تريد سوريا حرَّة... أمريكا لا يمكن أن تدعم الثَّورة السُّوريَّة ولا يمكن أن تسمح بانتصار الثَّورة السُّوريَّة طالما هي قادرة علىٰ منعها من الانتصار». ولٰكن لا أحد أراد أن يفهم أو يقتنع. وظلَّ قادة ينتظرون الدَّعم الأمريكي، ويتوسلون الدَّعم الأمريكي. فارتهنوا للقرار الأمريكي حَتَّىٰ ولو لم يكونوا خونة وعملاء.

كذب السياسة الأمريكيَّة لم يعد يجهله أحد، للأسف لم يعد يجهله أحد إلا قادة الثَّورة السُّوريَّة. والمصيبة الأكبر هنا تحديداً أنَّ كذبهم بشأن السُّوريَّة أكبر من أن يحتمل وأكبر من أن يتم إخفاؤه أو إنكاره.

لن أعود إلىٰ الأيام الماضية، يكفي أن أقف عند تصريح أوباما ذاته في هٰذا الاجتماع فقط. أقف عند شاهدين فقط.

قال: «قمع المعارضين يدعم الإرهاب وعلينا دعم الديمقراطيَّة وضمان ممارسة الحرِّيات الدِّينيَّة... الاضطهاد علىٰ أساس العرق أو الدِّين يغذِّي الإرهاب». وأتساءل هنا: من الذي يدعم الاستبداد؟ من الذي يدعم ويغذي الاضطهاد علىٰ أس العرق والدين؟ ماذا يمكن أن نسمِّي الموقف الأمريكي من الميليشيات الطَّائفيَّة في العراق وسوريا؟ هل هو ضمان ممارسة حريات دينيَّة أم تأجيج حرب دينيَّة وطائفيَّة؟! ولا أنتقل إلىٰ مينمار وأفريقيا الوسطو غيرهما.

وقال أيضاً: «العالم يتذكَّر فقط الهجوم الإرهابي على شارلي إيبدو. لٰكنَّنا نحتاج أيضا إلى تذكر الشرطي المسلم الذي قتل في أثناء تأدية واجبه هناك». هنا يبدو التَّهريج الأوبامي على أصوله. ولماذا يا سيد أوباما إذن خرس الإعلام الأمريكي والسِّياسة الأمريكيَّة عن مجزرة مماثلة ارتكبها مسيحي ضد أسرة مسلمة في كارولاينا الشَّماليَّة التابعة لك؟ كيف يمكن أن نصدقك والواقعة وقعت قبل أيامك من خطابك هٰذا، وشارلي إيبدو قبل شهر ونصف منه تقريباً؟ ومرة أخر أُخْرَىٰ لن أعود إلىٰ مجازر أُخْرَىٰ كثيرة ارتكبت في حق المسلمين لم تلق إلا الترحيب، بينما شارلي إيبدو وأمثالها تنفخ رأس البشريَّة تضخيماً وتهويلاً.

ومع ذَلكَ، ومنذ أوائل الثَّورة، ومنذا صار الإئتلاف ممثلاً للثَّورة: كل شهرين يتواثب الإئتلافيون والمنتطعون لقيادة الثَّورة ويصرخون فرحاً: «أمريكا وعدت بدعم المعارضة، أمريكا ستقدم لنا الدعم، هناك بوادر تغير في الموقف الأمريكي، هناك بوادر تغير في الموقف السُّعودي، هناك بوادر تغير في الوقف المصري، هناك بوادر تغير في الموقف الروسي...».

ويا حسرتاه، لا العالم تغير، ولا هم تغيروا. كقومٍ ذهبوا إلىٰ قوم لم يجدوا أحداً منهم فوقعوا معهم اتفاقيَّة وعادوا بحنين خفين.

الفصل الثاني عشر

هل قلبت أمريكا الطاولة؟

أمريكا تخرج عن عادتها في اللف والدَّوران وتمرير الرَّسائل بَيْنَ السُّطور لتدخل في الموضوع مباشرةً وتعلن بوضوح: الأسد أو نحرق البلد، الأسد أو لا أحد(١٣).

بالمناسبة في ٢٠١٤/١٠/١٠م نشرت مقالاً بعنوان: شعار أمريكا الأسد أو نحرق البلد. ولا أريد أن أعدِّد المقالات التي نشرتها في هٰذا الموضوع منذ بداية

(١٣) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٣/١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

الثَّورة فهي جدُّ كثيرةٍ اجتمعت في كتاب الثَّورة السُّوريَّة والمؤامرة الكونيَّة الذي صدر في ٢٠١٤م.

ولذلك أجدني، في هٰذا السِّياق أعلن أنَّني ما زلت أندهش من اندهاش السُّوريين من جميع الأطراف، وقبلهم من المحللين الفطاحل والإعلام العالمي كلِّه من التَّصريحات الأمريكيَّة أمس التي جاءت علىٰ لسان مدير الاستخبارات الأمريكيَّة جون برينان عن الثَّورة السُّوريَّة في لقاء تلفزيونيٍّ إذا قال:

«لا نريد إسقاط النِّظام المؤسَّسات السُّوريَّة»، وقال: «إنَّ سقوط بشار الأسد سيفتح المجال أمام الجماعات الإسلامية لاستلام السُّلطة». وأضاف: «لسنا وحدنا الذين نرغب في ذٰلكَ بل إن روسيا والصِّين ودول غربيَّة كثيرة ودول عربية كثيرة تؤمن بذٰلكَ وتريده».

القنابل الصَّوتيَّة الصَّاعقة التي فجَّرها جون برينان في لقاء الأمس لا تتوقَّف هنا. هناك المزيد من الإثارة والتَّشويق الذي سنعود إليه. ولٰكن دعونا نقف هنا قليلاً بدايةً.

الحقيقة في حدود متابعتي واستنتاجاتي منذ بداية الثَّورة أنَّهُ لا جديد في الموقف الأمريكي. مع التَّحفظ علىٰ الأشهر الأولى حَتَّىٰ نهاية ٢٠١١م في الحدِّ الأقصى. بل إنَّ كثيراً من التَّصريحات الأمريكيَّة علىٰ امتداد السَّنوات الثَّلاث المنصرمة كانت واضحةً في إعلان هٰذا الموقف لا تحتاج إلىٰ مفسِّر أحلام ولا قارئ فنجان حَتَّىٰ يكشف غوامضها.

ولذٰلك أجدني مندهشاً من المندهشين من إعلان هٰذا الكلام أمس علىٰ لسان مدير الاستخبارات الأمريكيَّة وتساؤلاتهم: لماذا تلحس أمريكا مواقفها؟

أين كانوا يعيش هؤلاء المتسائلون المندهشون؟

وكيف كانوا يفهمون واضحات الأمور والتَّصريحات؟

وأستاء أشدَّ الاستياء من القادة والمحللين السِّياسيين الذين مارسوا غباءهم علىٰ مدار السَّنوات السَّابقة وزعم بعضهم اليوم أنَّهُ كان يدرك هٰذه الحقيقة منذ البداية.

لم تكن التَّصريحات الأمريكيَّة أقلَّ وضوحاً من هٰذا التَّصريح. وقد كرَّرت تعليقاً علىٰ ذٰلكَ منذ سنوات مرَّات بأنَّ هٰذه التَّصريحات لأمور ثلاثة:

أولها الهروب من التَّقدم لحلٍّ جديٍّ.

وثانيها تكريس استمرار الصِّراع من أجل استمرار تدمير سوريا وإخراجها من التَّاريخ.

وثالثها من أجل تفتيت سوريا بالطَّريقة الأمريكيَّة، ليس تقسيمها ولٰكنَّ تفتيها بلبننتها أو عرقنتها لتخرج من دائرة الفعل بالمطلق. وكتبت في التَّحذير من مخطَّط المحاصصة لهٰذا عشرات المرات.

المحاصصة هي بؤرة التَّخطيط الأمريكي. الحقيقة التي يجب أن يدركها السُّوريون جميعاً هي أنَّ المحاصصة هي الهاوية التي يُراد جرَّهم إليها وتقديمها لهم علىٰ أنَّها الحلُّ الأمثل والأفضل، في حين أنَّها أخطر من بقاء النِّظام وأخطر من كلِّ أنواع الدَّمار. وقد أعلن رينان هٰذه الرَّغبة والمخطَّط بخبثٍ شديدٍ إذ قال: «نريد حكومة تمثِّلُ جميع الأطياف»، «إنَّ تشكيل حكومةٍ من جميع الأطياف هي الحلُّ الأمثل».

هٰذا كلامٌ خطيرٌ وخطيرٌ جدًّا. ظاهرهُ جميلٌ لمن لا يفهم في السِّياسة والرؤية الاستراتيجيَّة ولا حَتَّىٰ في شيء، لأنَّهُ ينادي بتمثيل جميع الأطياف!!! والغاية ليست الحرص علىٰ الأطياف جميعها، ولا علىٰ أحدٍ منها، بل الغاية هي خلق الأوضاع المناسبة تدريجيًّا وتهيئة الشَّعب السُّوري لمرحلة محاصصةٍ طائفيَّةٍ وعرقيَّة ومناطقيَّة للسُّلطة بحيث تصبح سوريا مثل لبنان أو العراق ينعدم معها وجود الدَّولة وتنقلب السُّلطة إلىٰ حصصٍ تفرض ذاتها علىٰ الدَّولة بمواقفها وأيديولوجياتها ومصالحها مثل لبنان أو العراق فوزير الخارجيَّة العراقي وزير الأكراد لا علاقة له بالدَّولة إلا بما يتفق مع كرديته التي وضعته في السُّلطة وزيراً، وكذلكَ وزير الخارجيَّة في لبنان هو مندوب الطَّائفة التي وضعته فيه ويمثِّل موقف الطَّائفة التي وضعته لا موقف الحكومة، ولذلك ما أكثر ما وجدنا موقف وزير الخارجيَّة شيء وموقف رئيس الحكومة شيء مخالف: كلٌّ يغني لطائفته. وعلىٰ هٰذا القياس بقية المناصب والوزارات.

ينبغي أن لا ينخدع السُّوريون من هٰذه المطالب البراقة إنَّهَا أكبر كمينٍ يترصَّدُ سوريا. وسيستهوي الكثيرين بمظهره البرَّاق من جهة صورته بتمثيل أطياف المجتمع في السُّلطة. وأغلب الظَّن أنَّ الأقليات ستدفع بهٰذا الاتجاه مهما كانت النَّتائج تحت ضغط مخاوف روَّج ويروِّج لها النِّظام وتروِّج لها الإدارات الغربيَّة وحَتَّىٰ العربيَّة. هٰذا علىٰ الرَّغْمِ من أوهام التَّركيبة الفسيفسائية التي يُرَوَّجُ لها، فالمجتمع السُّوريَّة ليس فسيفسائيًّا كما يصورون، ولا يجيز تقاسم السُّلطة أبداً علىٰ أساس التَّركيبة السُّكانيَّة لأنَّ ثمانين بالمئة علىٰ الأقل عرباً مسلمين (سنة) وعشرين بالمئة علىٰ الأكثر لكلِّ الأقليات، وهٰذا مثل أيِّ بلدٍ في العالم، فلماذا سوريا وحدها تجب فيها مثل هٰذه المحاصصة؟

علىٰ أيِّ حالٍ، لنعد إلىٰ القسم الأول من التَّصريحات وهي عدم السَّماح بسقوط مؤسسات الدَّولة؟

ليس بريطانيا ولا أمريكا ولا روسيا ولا إيران ولا الصِّين ولا الفلبين ولا أيُّ دولةٍ في العالم أحرص من السُّوريين علىٰ عدم إسقاط مؤسَّسات الدَّولة. ولا نحتاج منه ولا من غيره أن يعلمنا الوطنيَّة ولا الحرص علىٰ الوطن. هناك الكثير من الأخطاء التي يرتكبها السُّوريون من الطَّرفين بحقِّ الوطن، نعم، ولٰكنَّ لن يكون أحدٌ في الدُّنيا أحرص منهم علىٰ وطنهم. ولذٰلك عليه وغيره أن يخيط بغير هٰذه المسلَّة.

وحَتَّىٰ تكتمل دائرة الخداع والتَّضليل، وتنكشف الألاعيب الأمريكيَّة لاحظوا القسم الثاني من التَّصريح، فهو لن يسمح بسقوط الحكومة ولا مؤسَّسات الدَّولة، وسقوط الأسد أمرٌ غير مقبول... ومع ذٰلكَ يتابع بكلِّ وضوح قائلاً: «ولٰكنَّنا سنزوِّد المعارضة بأسلحة غير فتاكة»!!! وأضاف علىٰ نحو مستقلٍّ إضافةً ملفتةً وغريبةً جدًّا قال فيها: «يجب علينا تزويد المعارضة المعتدلة بالسِّلاح كي لا تسمح لغيرها بالزحف إلىٰ دمشق».

المعارضة المعتدلة التي تزودها أمريكا بالسِّلاح هي حَمَلَةُ وَحُمَاةُ ومنفِّذة المشروع الأمريكي بامتياز ومن دون شكٍّ، وسيبدو تفسير ذٰلكَ لاحقاً. فلماذا تريد أمريكا من حماة مشروعها حماية دمشق وعدم سقوط الأسد واستمرار القتال في وقت واحدٍ؟ كيف استطاعوا استيعاب هٰذه الخلطة العجائبيَّة التي لا تستقيم في عقل ولا ميزان؟

هل هناك أعجب من ذٰلكَ؟

هم يريدون بقاء بشار الأسد والنِّظام ويزودون المعارضة بأسلحة لمقاتلة النِّظام؟

هات اشرح لنا يا سيد برينان: كيف (زبطت معك)؟.

النِّظام فَرِحَ بالقسم الأوَّل والمعارضة فرحت بالقسم الثاني. وكلاهما ظنَّ أنَّهُ وجاء بالذيب من ذيله وانتصر وانتهى إليه الظفر. في حين أنَّهُما كليهما وقع في فخِّ استمرار الدَّمار، ونجاح أمريكا وحدها في مبتغاها علىٰ حساب سوريا الشَّعب والتَّاريخ والحضارة والماضي والمستقبل.

برينان، وقبله عشرات المسؤولين الأمريكان، مارسوا هٰذه اللعبة علىٰ مدار الثَّورة: العصا والجزرة، الترغيب والترهيب، الإغواء والإغراء... تبعاً لمعطيات كلِّ مرحلةٍ. ارجعوا وراجعوا: كلما تقدَّم النِّظام صعَّد الأمريكان والغرب التَّصريحات الدَّاعمة للثَّورة، وكلَّما تقدَّمت الثَّورة صَرَّحَ الأمريكان تصريحاتٍ تعطي المدد للأسد وتغريه بالتَّقدُّم والإصرار علىٰ المتابعة. ولا شك في أنَّهُ يترافق مع ذٰلكَ أنَّهُ كلما تقدَّم الأسد قدَّمت أمريكا لبعض الجيش الحر من الأسلحة والحوافز ما يجعلها تتقدَّم هي، وكلَّما تقهقر النِّظام قامت بمحاصرة الثَّورة ومنعها من التَّقدم وهٰكذا... اللعبة مكشوفةٌ مفضوحةٌ منذ زمنٍ ولا أحد يريد أن يدركها... للأسف.

نعم، ما زال أدعياء قيادة الثَّورة يقبلون بسهولةٍ أن يكونوا مضحكةً، وقد فرحوا بنصف هٰذا التَّصريح وحاولوا أن يوجدوا تخريجاتٍ للنِّصف الثَّاني.

تركوا كلَّ هٰذه التَّناقضات وتمسَّكوا بتلميحه بأن أمريكا ستدعم المعارضة بأسلحة غير فتاكة والأصح الأسلحة غير القاتلة!!!

تركوا كلَّ هٰذه التَّناقضات وتمسكوا بحكومةٍ تضم جميع الأطياف معتقدين أنَّها الخدمة المثلى للثَّورة وسوريا علىٰ ما فيها من خطورة...

لم يتوقَّف الأمر هنا.

في اليوم التَّالي خرج جون كيري وزير الخارجيَّة الأمريكي شخصيًّا ليؤكد تصريحات برينان ويعلن بوضوح قائلاً: «لا بُدَّ من دخول أمريكا في حوارٍ مباشرٍ مع نظام الأسد». وأضاف لازمة الفتنة والتضليل: «ولٰكنَّ ذٰلكَ لا يعني أيَّ تغيُّرٍ في موقف واشنطن من الأسد».

وهات حلاًّ وتفسيراً يا مفسِّر الأحلام.

أوروبيون استنكروا وأوروبيون أيدوا والجميع في أرجاء العالم راح يبحث عن التفسير، وعن هٰذا التقدَّم الهائل في الخطاب الأمريكي باتجاه المصالحة مع النِّظام السُّوري وبشار الأسد. وأجمعوا، بمن فيهم أمريكان، علىٰ أنَّ كيري لا يقصد بشار الأسد بشخصه وإنَّما يقصد النِّظام. حَتَّىٰ صفعهم جون كيري نفسه في آخر اليوم بتأكيده أنَّهُ يعني الحوار مع شخص بشار الأسد.

طيب، وماذا نفهم من ذٰلكَ؟

أكرِّر لا جديد عندي في هٰذا الموضوع، فقد كتبت استلماحاً من السِّياسة الأمريكيَّة والتَّصريحات الأمريكيَّة علىٰ مدار السَّنوات الثلاث السَّابقة إنَّ أمريكا لا تريد رحيل النِّظام ولا رحيل بشار الأسد، ولا تريد انتصار الثَّورة.

فَرِحَ النِّظام السُّوري بهٰذه التَّصريحات وارتدت إليه الروح... فيما كان علىٰ وشك الانفجار. وظنَّ أنَّهُ انتصر علىٰ أمريكا وعلىٰ الثَّورة،

ووقف بشار الأسد بزهوٍّ يفرض شروطه على أمريكا لقبول الحوار... ولم يعلق الأمريكان بشيء.

حسناً، أنا قلت وكررت مراراً على مدار سنوات الثَّورة «إنَّ أمريكا لا تريد انتصار الثَّورة ولا تريد سقوط النِّظام»، ولٰكنِّي لم أقل في مرَّة إن أمريكا تريد بقاء النِّظام. أمريكا لن تسمح للنِّظام أن يبقى إلا في ظرف استمرار القتل والتَّدمير والتَّشريد للإجهاز على كل سوريا وإخراجها من التَّاريخ والجغرافيا إلىٰ حين قبول السُّوريين بحلِّ التَّفتيت الذي أشرنا إليه لأنَّ كل الحلول الأُخْرَىٰ لم تستطع أن تقنع المطالب الأمريكيَّة. وهي ليست مستعجلةٍ على شيءٍ لأنَّهَا ليست مضطرةً لشيءٍ ولا تدفع من جيبها شيء...

وفوق ذٰلكَ كله، صحيحٌ أنَّ أمريكا تتحكم بقيادات الثَّورة إلىٰ حدٍّ كبير ولٰكنَّهَا ليست من يقرر نهاية الثَّورة ولا نهاية الصِّراع، الكلمة التي كررها التاريخ كثيراً: تستطيع أن تبدأ الحرب متى شئت، ولكنَّك لا تستطيع إيقافها متى شئت. لا بقاء النِّظام مرتهن بالقرار الأمريكي ولا غيره، ولا انتصار الثَّورة مرتهن بقرار أمريكا ولا غيرها. السُّوريون وحدهم من سيضع الخاتمة مهما كانت الاختراقات والتَّدخلات والإملاءات.

الفصل الثالث عشر

التناقض الأمريكي يصل إلى الذروة

تناقضات السِّياسيِّة الأمريكيَّة ليست بالجديدة أبداً[١٤]، منذ تصاعد الحرب الباردة مع الاتحاد السُّوفييتي إثر الحرب العالمية الثانية بدت للمتابعين والمهتمين تناقضات السِّياسة الأمريكيَّة. علىٰ أيِّ حال كانت تناقضات تتراوح حول سياق المقتضى لا تتجاوزه كثيراً فيما يخص العلاقات الغربيَّة الغربيَّة والغربيَّة

(١٤) .كتب هٰذا المقال في ٦/٤/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

الشَّرقيَّة ما عدا العالم العربي والإسلامي. العالم العربي والإسلامي استراتيجيا مستقل في السياسة الأمريكية خاصَّة والغربيَّة عامَّة مرسومة المعالم منذ القرون الماضية وآخر تتويج وإعادة بناء لهٰذه الاستراتيجيا كان في مؤتمر كامبل بنرمان عاك ١٩٠٧م، وكل ما بعد هٰذا العام ليس إلا تنويع عزف علىٰ أوتار هٰذا المؤتمر.

لا أريد الحديث هنا عن العوار العربي والتهالك العربي وكيف رهن القادة العرب الأمة خادماً لأمريكا وحلفها منذ الحرب العالمية الثانية إلىٰ اليوم، ولا أريد تسويغ استخفاف أمريكا بالعرب بسبب العرب أنفسهم، وهٰذه حقيقة. ولا أريد الاستفاضة في الحديث عن التناقضات الأمريكيَّة في الشأن العربي والإسلامي؛ كل ذٰلكَ تقريبا كتبت فيه عشرات المقالات والأبحاث علىٰ مدار نحو ثلث القرن وكلها منشورة في كتبي الكثيرة في هٰذه الموضوعات.

أقف عن مشهد استكمالي في تصاعد هٰذه التَّناقضات إلىٰ الانكشاف والانفضاح التام تقريباً. كانت هٰذه التَّناقضات مستورة بورقة التُّوت أحياناً وأحياناً بخرقة قنب سميكة، ولٰكنَّهَا منذ أشهر طفح الكيل بها ولم تعد قادرةً علىٰ الاستتار أبداً، وصارت تمارس تناقضاتها بوضوح من دون حياء أو خجل، ومن دون خوف بطبيعة الحال.

مشهد اليوم هو اللقاء الصحافي الذي أجرته أمس ٢٠١٥/٤/٥م جريدة النيويورك تايمز الأمريكية مع الرئيس الأمريكي باراك أوباما. اللقاء طويل يعنينا منه ما يخصنا من نقاط تجلت في ثلاث رئيسية.

الكلمة الذهبية التاريخية في هٰذا اللقاء وهي أجمل ما فيه هي شعوره بخيبة الأمل من العرب الذين ينتظرون منه الإذن والتوقيع علىٰ أيِّ فعل عليهم أن

يقوموا به. وتساءل عن السَّبب في عدم قيام العرب بعملٍ ما لوقف انتهاكات حقوق الانسان التي يرتكبها نظام بشار.

أوباما تبرم ضجراً وأسفاً من القادة العرب الذين لا يفعلون شيئاً إلا بإذنه. ويا خوفي يا خوفي من السِّنين الماضية وما كان يصير فيها... لست أخشى بل أنا شبه متأكِّد من أن الزُّعماء العرب فلقوا رأس الإدارة الأمريكيَّة في عشرات السِّنين الماضية بالاستشارات وطلب الإذن حَتَّىٰ رُبَّما فيما يدور في غرف نومهم. وما يلي ذَلكَ من إيكو وتحليل بول ودم وتحديد جنس المولود... يعني من الآخر يا سادة أنَّ كلَّ السَّادة أولاد القادة العرب جاؤوا بقرار أمريكي...

علىٰ أي حال، من هٰذا التَّبرُّم استنتج المحللون السياسيون الفطاحم أنَّهُ لم يعد هناك مجالٌ للشَّك قفي أنَّ عاصفة حزم ثانية ستطلق علىٰ بشار ومؤيديه... وليس هٰذا فحسب بل إنَّهَا ستكون مدعومةٌ من الولايات المتحدة والغرب. واستطرد أكثرهم قائلاً: «هٰذا كلامٌ دبلوماسي لا تفسير آخر له إلا أن افعلوا ما عليكم فعله لوقف براميل بشار ولا تنتظروا أوامر منا».

الاستقراء سليم من جهة المبدأ. فما دخل أمريكا وما مصلحتها في التَّدخُّل في سوريا؟ لا الأرض أرضها ولا الأهل أهلها ولا هي تخسر شيئاً مما تخسره سوريا، فلماذا تدحش نفسها في خسائر لا ناقة لها فيها ولا جمل.

من جهة ثانية هي رسالة إلىٰ العرب أن اقلعوا شوككم بأيدنا وحلوا عنا. أيعقل أن لا يحلُّ العرب مشاكلهم إلا بإذن أمريكي وقرار أمريكي؟ شيء يدعو إلىٰ الضَّجر.

ولٰكن من جهة ثالثة هٰذا الكلام سخيفٌ ومتناقض. هل أذكر السيد أوباما بتصريحه هو ذاته في ٢٠١٣/٢/٩م: الذي قال فيه: «لن نسمح بوصول

أسلحةٍ نوعيَّةٍ للمعارضة تهدِّد أمن إسرائيل وأمريكا؟!». أم أذكره بعشرات التصريحات بتسليح الثَّورة السُّوريَّة بأسلحة غير قاتلة، هٰذا اللغز الذي حير علماء الفلك والنجيم بعد أن تمزقت أغشية المنطق وهي تحاول أن تفهم كيف يقاتل جيش بأسلحة غير قاتلة!!! أم أذكره بالممارسة الأمريكية الفعلية في مصادرة الأسلحة المرسلة إلىٰ الجيش الحر، ومنع وصول أي سلاح نوعي للثورة السوريَّة؟!؟!

هل هي عودة إلىٰ الضمير أم هي استمرار في القتل والتخريب والتدمير؟

إذا تذكرنا تصريحا برينان وجون كيري منذ شهر في عدم السماح بسقوط الأسد، وضرورة قيام أمريكا بالتَّحاور مع الأسد فإنَّ هٰذا الضوء الأخضر الأمريكي هو جر إلىٰ المنطقة الملعب الأحمر. جر العرب والمسلمين إلىٰ حرب داخليَّة وتحييد الشِّيعة عن المواجهة التي تورطوا بها في المنطقة. وعندما تشتعل عاصفة حزم ثانية سيكون لها من الوقود ما يجعلها تدوم عشرات السنين، وإن لم يكن فستكون عاصفة حزم ثالثة ورابعة وتتحول الدول العربية بنشوة الحزم إلىٰ ديك يستعرض كل يوم في مكان علىٰ مزابل المنطقة... فقط علىٰ مزابل المنطقة وليس علىٰ أي عدو خارجي كما يرجو الكثيرون أو يتوقعون.

هنا ننتقل إلىٰ النُّقطتين الثَّانية والثَّالثة. قال أوباما في هٰذه اللقاء تعقيباً علىٰ الاتفاق النَّووي الأمريكي الإيراني، تطميناً للحكام الخليجيين وحسب وليس العرب: «إنَّ إيران لا تشكل خطراً علىٰ دول الخليج، الخطر الذي تواجهه دول الخليج هو من شعوبها». شعوب المنطقة هي التي تشكل خطراً علىٰ المنطقة!!!

تعبير لم نسمع مثله إلا من بشار الأسد والنظام السوري الذي رأى الشعب خطراً علىٰ الدولة، خطراً علىٰ سوريا. لأول مرة في التَّاريخ كله يكون

الشَّعب هو الخطر. عبر التَّاريخ هناك فئات، أقليات، شراذم... تشكل خطراً علىٰ الشَّعب، خطراً علىٰ الدولة، خطراً علىٰ النظام... أما أن يكون الشعب هو الخطر علىٰ الشَّعب فهٰذا ما لم ينزل الله به سلطاناً.

أمَّا إذا الشعب يشكل خطراً علىٰ السُّلطة فلا يمكن لمنطق أبداً أن يقبل أو يقتنع إلا بأن السلطة كلها خلل... ولذلك كان الشَّعب خطراً عليها. من غير المعقول ولا المقبول أن يكون الشعب هو الخطر والسلطة هي الصواب مهما بلغ الشعب من الجهل.

إذا كلام أوباما واضح تماماً في مضمونه. الشَّعب يشكل خطراً علىٰ الأنظمة، والشعب الذي يشكل خطراً علىٰ الأنظمة سيشكل خطراً علىٰ حماة هٰذه الأنظمة أي أمريكا وثلاث نقط. ومن ثمَّ فإنَّ الأنظمة تسير عكس المنطق وعكس مصالح الشَّعب. ولا يحتاج ذٰلكَ إلىٰ دليل.

هنا تأتي النُّقطة الثالثة التي قال فيها: «سنجري مفاوضات مع شركائنا الخليجيين ونقدم لهم الدعم لمواجهة أيِّ عدوانٍ خارجيٍّ».

حسناً، إذا كانت إيران ليست عدوًّا كما قرَّر السيد أوباما. فمن هو العدو الخارجيُّ يا ترى؟

لننظر في المحيط سنجد إسرائيل. هل يعقل أن أمريكا ستدعم الخليج ضد إسرائيل؟ التفكير في أمر كهذا لا يثير السُّخرية وحسب بل يثير الاشمئزاز. محضُ التَّفكير في ذٰلكَ يثير الغثيان. هٰذا الأمر خارج كلِّ أنواع الحسبان بالضَّرورة المنطقيَّة والتاريخيَّة والواقعيَّة والمستقبليَّة.

حسناً، هل يعقل أن تكون دول عربيَّة أُخْرَىٰ؟!

أمرٌ غير قابلٍ للتَّصديق، ليس لعدم وجود نوايا وإنَّما لعدم وجود الكفاءة ولا القدرة، ناهيكم عن النِّيَّة أو الرَّغبة.

إذن من يكون لهذا العدو الخارجي الذي يعد السيد أوباما أن يقف ضدَّه مع شركائه الخليجيين؟

من المؤكد أنَّهُ لن جزر القمر ولا جيبوتي ولا الصومال ولا الدول العربيَّة ولا الدول الإفريقية وبالضرورة لا ترى ترى أمريكا نفسها عدوًّا خارجيًّا ودول أوروبا التي لا يمكن أن تقف أمريكا ضدها مع دول الخليج...

هل نحن أمام لغز معقد إلىٰ هٰذه الدرجة؟

بعد التَّصعيد العربي تجاه تركيا ومخاوف الأنظمة العربيَّة من نجاح الإسلام السِّياسي في تركيا، وهي مخاوف مشتركة مع الغرب وعلىٰ رأسه أمريكا، وتعزز ذَلكَ إثر المواقف التركية الحازمة في السنوات الأخيرة، وإذا قاطعنا ذَلكَ مع الممارسات وإبداء المخاوف سرًّا من تصاعد الدور التركي في المنطقة فإنَّهُ يبدو لي أنَّ العدو الخارجي المقصود والموحى به هو تصاعد الحضور التركي والدور التركي في محيطها الإقليمي.

الفصل الرابع عشر

هل بئست إسرائيل من بقاء الأسد؟

سأبدأ بما كتبه شابٌّ علويٌّ اسمه عمار عجيب قائلاً[١٥]: «أقول لكل أصدقائي في السَّاحل: السَّاحل محميٌّ، ليس بمشيئة علي وليس بمشيئة إيران وليس بمشيئة تركيا ولا السُّعودية ولا النِّظام... السَّاحل محمي بأوامر أمريكيَّة. دخول ميليشيات آكلي لحوم البشر إلىٰ السَّاحل ممنوع بقرار أمريكي».

(١٥) .كتب هٰذا المقال في ٤/٢٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

هٰذا الكلام صحيح مئة بالمئة. الذي حمى قرى العلويين وضياعهم من كتائب الثورة هو أمريكا تحديداً مباشرة وعن طريق الداعمين الخليجيين. أمريكا هي التي تمنع التشكيلات الثورية العسكرية من الاقتراب من أي قرية علوية أو شيعية في سوريا بالتهديد بالوعيد بكل ما يخطر في البال من طرق.

لماذا تفعل أمريكا ذٰلكَ؟

هل حبًّا بالعلويين؟ هل حرصاً عليهم؟ لا أريد التوغل في هٰذا التحليل. يكفي أن نعلم علم اليقين أنَّ أمريكا هي التي تمنع أيَّ فصيلٍ ثوريٍّ من الاقتراب من القرى والضِّيع العلويَّة والشِّيعيَّة، وقد شاهدنا كيف تستنفر أمريكا كلما اقترب الجيش الحر من القرى العلويَّة ويرجعونهم علىٰ أعقابهم شاؤوا أم أبوا.

وفي الوقت ذاته لا أحد يجهل أن أمريكا هي إسرائيل وإسرائيل هي أمريكا. وأن إسرائيل هي الناصح والموجه الأول والأكبر للسِّياسات الأمريكيَّة في المنطقة علىٰ نحو خاصٍّ.

لا أريد العودة إلىٰ تفاصيل كثيرةٍ في سياق الثَّوْرَة السُّوريَّة ودخول إسرائيل علىٰ الخط لمنع سقوط النِّظام، ولا أريد العودة إلىٰ أهزوجة الاحتفاظ بحقِّ الردِّ السَّابقة علىٰ الثَّوْرَة السُّوريَّة. ولٰكن لا بُدَّ من تساؤلٍ مهمٍّ في إطار الثَّوْرَة طرحه الكثيرون فيما أفترض:

إذا كانت الثَّوْرَة السُّوريَّة مؤامرةً إسرائيليَّة كما يقول النِّظام ورجالاته، وقد حلَّق الطيران الإسرائيلي غير مرَّةٍ في السَّماء السُّوريَّة وفي كلِّ مرَّةٍ قصف مواقع ومعسكرات للنِّظام، هي سوريَّة في المحصلة وليست ملك النِّظام، فلماذا لم يرد

النِّظام علىٰ هٰذه الاعتداءات الإسرائيليَّة؟ وإذا كانت إسرائيل تريد القضاء علىٰ النِّظام فلماذا لم يشعل الأرض تحتها علىٰ مبدأ عليَّ وعلىٰ أعدائي؟ لماذا طبق هٰذا المبدأ علىٰ السُّوريين فقط؟

لا أريد الاستفاضة في ذٰلكَ. ولٰكنَّ أيضاً لا بُدَّ من الإشارة إلىٰ أنَّ كلَّ الاعتداءات الإسرائيلية علىٰ مواقع النِّظام في سوريا طيلة الثَّوْرَة لم تكن عدواناً علىٰ النِّظام أبداً وإنَّما كانت:

. لإنقاذ النِّظام في حالات بتأليب الشَّارع علىٰ الثَّوْرَة وأنَّ إسرائيل تساعد الثَّوْرَة.

. وفي حالات عقاباً للنِّظام علىٰ التَّمادي في أمرٍ كما حدث في القنيطرة منذ نحو شهرين.

. وفي حالات أُخْرَىٰ، وهي الأخطر، لمنع استيلاء الجيش الحرِّ علىٰ الأسلحة... وهٰذا ما حدث في جمرايا والمطار وقبل أمس وأمس ٢٠١٥/٤/٢٦م.

علىٰ مدار اليومين الماضيين والطَّيران الإسرائيلي يصول ويجول في السَّماء السُّوريَّة يقصف الصَّواريخ البالستيَّة ومنصَّات إطلاقها في محيط دمشق والقلمون. لم تفعل إسرائيل ذٰلكَ عندما كان الأسد يطلق هٰذه الصَّواريخ علىٰ الشَّعب السُّوري، ولا أحد طلب منها الدِّفاع عن الشَّعب السُّوري، ولا سوري شريف يقبل منها أن تفعل ذٰلكَ.

قصف الصَّواريخ البالستيَّة جاء بعد يومٍ فقط من استعراض أو مناورة إطلاق الصَّواريخ التي أطلق فيها النِّظام أكثر من عشرين صاروخاً بالستيًّا لا

ندري أين سقطت، ولٰكن يبدو أنَّها لم توجه إلىٰ الشَّعب السُّوري ولا خارج سوريا.

أن تُقْدِمَ إسرائيل علىٰ هٰذه الخطوة فهٰذا يعني علىٰ نحو مباشر أن إسرائيل غسلت يدها من بقاء النِّظام ولذلك تريد تدمير الأسلحة النوعية في أرجاء سوريا. هٰذه حقيقة أرجو أن لا نجادل فيها، لها سوابق من التصريحات الأمريكية والإسرائيلية غير قليلة. لا أريد أن أطيل في ذٰلكَ ولا أستطرد يكفيني أن النِّظام السُّوري رحب وفرح بالضربات الأمريكية في سوريا، ولم يعترض أي اعتراض ولو شفوي علىٰ الضربات الإسرائيلية لأرجاء سورية، في حين أنَّهُ هدد بمسح السعودية إن هي اعتدت علىٰ سوريا، وشن حملة إساءة بذيئة للسعودية لمحض تلميح السفير السعودي باحتمال قيام التَّحالف العربي بضربة في سوريا.

بغضِّ النَّظر عن النَّوايا السُّعوديَّة وطبيعتها، ألا يدل ذٰلكَ علىٰ أنَّهُ متخوف من الضربة السعودية وآمن من الضربة الأمريكية والإسرائيلية؟ ماذا يمكن أن نفهم غير ذٰلكَ من هٰذه التصريحات والسلوكات؟

بقناعتي أنَّهُ علىٰ قيادات الثَّوْرَة العسكريَّة أن توجه إنذاراً إلىٰ إسرائيل تهددها وتحذرها من مغبة استمرار العدوان والتَّدخل وإلا فإنَّ إسرائيل ستزيد من استباحة الأرض السُّوريَّة وتدمير ما يمكن أن يبقى من قوة ردع سورية.

لا بُدَّ لي أن أتساءل: من الذي أعطى الضَّمانات لإسرائيل كي تصول وتجول في سماء سوريا وتقصف هناك وهناك وتدمر أسلحتنا ومواقعنا؟

إذا كان النِّظام عاجزاً أو راضياً بالعدوان الإسرائيلي فهل يقبل السُّوريون ذَلكَ؟ هل يقبل الجيش الحر ذَلكَ؟

السُّوريون بالتَّأكيد لا ولن يقبلوا ذَلكَ. فإذا كان أيُّ تشكيلٍ ثوريٍّ يقبل ذَلكَ فهو ليس من الثَّوْرَة، وهو عدو للثورة وعدو للشَّعب السُّوري... وسيدفع الثَّمن بكلِّ تأكيد.

هٰذا ليس رغبةً ولا رأياً ولا موقفاً... هٰذا الحقيقة والحقيقة فقط.

الفصل الخامس عشر

ارتباك عالمي
بسبب تقدم الثوار!

كلُّ يومٍ يزداد العالم الغربيُّ وقاحة في الإسفار عن حقيقته في التعامل مع دماء السُّوريين التي تتدفق شلالات وأنهاراً منذ أربع سنوات متتالية(١٦).

أكرر للمرة المئة علىٰ الأقل لا جديد عندي في ذَلكَ وقد كتبت في ذَلكَ عشرات المرات منذ بداية الثَّورة لوكن أحداً لم يريد أن يقتنع أو

(١٦) .كتب هٰذا المقال في ١٤/٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

يفهم وأو يقبل هذه الحقيقة وظل الجميع ينتظرون الدعم الأمريكي والغربي للثورة السُّوريَّة.

منذ شهر تقريباً صارت الثَّورة السُّورية تتقدم تقدماً نوعيًّا وكبيراً على مختلف الجبهات في أرجاء سوريا، التقدم والانتصارات نوعيَّة جدًّا وليست عاديَّة أبداً، حَتَّىٰ إن بعضهم لم يرد أن يقتنع إلا بأن هناك ضوء أخضر أمريكي/ عربي لإسقاط بشار الأسد والنِّظام السُّوري. وبعضهم ذهب إلىٰ أنَّ الأمريكان والعربيكان سمحوا لقوى الثَّورة العسكرية بالتقدم من أجل إرغام بشار الأسد علىٰ الجلوس علىٰ طاولة المفاوضات. والحقيقة ليست من هٰذه الطينة ولا من هٰذه العجينة. الثَّورة تتقدم تمرُّداً وعصياناً وحماسةً، علىٰ الرَّغْمِ مما يربطها من قيود بالعربيكان والأمريكان الذي يريدون هٰذا التقدم ولا يقبلونه ولٰكنَّهُم وجدوا أنفسهم أمامه وجهاً لوجه. فماذا حدث؟

بعد سلسلة من الممارسات والتصريحات التسللية أعلنت أمس ٢٠١٥/٥/١٣م السي آي إي الأمريكية، ولا يوجد سي آي إي غير الأمريكيَّة، وعلىٰ لسان أكثر من مسؤول سياسيي وعسكري ومخابراتي منهم رئيس هيئة الأركان الأمريكيَّة المشتركة مارتن ديمبسي، أنَّ «الولايات المتحدة قلقة من التَّقدُّم الذي يحرزه الثُّوار السُّوريون علىٰ الأرض»، وأعلنوا أنَّ «أداتهم لمواجهة هذا التقدم هو حزب الله».

عشرات المقالات والتعليقات كتبتها منذ بداية الثَّورة في ذلك ولم يقتنع أحد بل حَتَّىٰ مع هٰذه التصريحات تجد تافهي الثَّورة السُّورية متعلقون بالحذاء الأمريكي. فمع هٰذه التصريحات التي تفقأ العين

وتبخش العقل وضوحاً نجد أعلام المحللين السياسيين وفطاحلة التَّحليل العسكري مسرورين من أنَّ أمريكا باشرت بتدريب مجموعات من الجيش الحر لمحاربة الدولة الإسلامية قبل النِّظام وسيتم التدريب على مدى ثلاث سنوات... علىٰ الأقل.

ماذا يعني أن يكون تدريب جيش حر لمدَّة ثلاث سنوات علىٰ الأقل؟

إذا ما أخذنا أن هٰذا التَّدريب، كما أشرنا كثيراً استناداً لتصريحات أمريكيَّة، هو لمقاتلة الدولة الإسلامية حصراً ويمنع عليهم مقاتلة النِّظام، وقبل الدولة الإسلامية صرح الأمريكان بأنهم لن يسلحوا الجيش الحر إلا لمقاتلة الإسلاميين، فهل يمكن القول إنَّ أمريكا تريد إسقاط النِّظام السُّوري؟

الولايات المتحدة ليست وحيدة في هٰذه المخاوف فأمس ذاته أيضاً ٢٠١٥/٥/١٣م الإندبندنت البريطانية أكَّدت مخاوفها وقلقها من تقدم الثَّورة السُّوريَّة علىٰ الأرض، وأبدت قلقها ومخاوفها من سقوط بشار الأسد».

طبعاً هٰذه بريطانيا التي كنت تنط مثل القرد بَيْنَ اليوم والثاني لتعلن وجوب تسليح المعارضة السُّورية. هي لم ترد تسليح المعارضة لتنتصر الثَّورة وإنما لتدمير سوريا، مثلما أرادت أمريكا. وفي ذَلكَ كتبت عشرات المقالات والتعليقات منذ بداية الثَّورة ولم يرد أحدٌ الاقتناع.

الآن يكتشفون هٰذه الحقائق وينبهرون بها وبعضهم ما زال يتعلق بالحذاء الأمريكي والبريطاني وأحذية عربيكيَّة لا تريد الخير لسوريا ولا للثورة.

في إسرائيل ويا للمصادفة العجيبة المخاوف ذاتها في اليوم ذاته. فالكاتب الإسرائيلي آلون بن ديفيد كتب في صحيفة معاريف الإسرائيليَّة أمس ١٣ / ٥/ ٢٠١٥م «إنَّ حزب الله الذي يتولى مهمة الدفاع عن إسرائيل في سورية قد مني بخسائر كبيرة». وأضاف ألون آلون قائلاً: «إنَّ حرص حسن نصر الله علىٰ الظهور بمظهر الواثق من نفسه أمرٌ مبالغٌ فيه».

وتابع في تبيان المخاوف الإسرائيلية قائلاً: «أمام انكسارات بشار الأسد، وتواصل حركة نزوح العلويين إلىٰ الساحل، وهجرة عائلة مخلوف التي تنتمي إليها والدة بشار من البلاد... فإنَّ الرأي السائد في إسرائيل أنَّ خطوط الدفاع عن إسرائيل المتمثلة ببشار وإيران وحزب الله تؤول إلىٰ الصفر. ولذلك علىٰ إسرائيل أن تستعد لتدافع عن نفسها ضد الشعب السُّوري بنفسها».

وأضاف موضحاً مطمئنا للإسرائيليين قائلاً: «بناء علىٰ هٰذه المعطيات فإنَّ قيادة الجيش الإسرائيلي استعانت بقوى الاستطلاع المخابراتية للإعداد لبنك أهداف ستقوم بقصفها مباشرة في حال تأكد سقوط الأسد».

هنا تبرز حقيقة الضربات الإسرائيلي ليس في الآونة الأخيرة وحسب بل علىٰ مدار الثَّورة السُّوريَّة. تلك الحقيقة التي تشير إلىٰ أنَّ إسرائيل تقوم بتصفية المواقع والإمكانات التي يمكن أن تقع تحت أيدي الثَّورة... وهو مشروع ماضية فيه، وقد تساءلت في مقال سابق في هٰذا الموضوع: إن كان النِّظام يحتفظ بحقِّ الرَّدِّ فهل ستحتفظ الثَّورة بحق الرَّدِّ علىٰ إسرائيل؟

إذا لم تفعل الثَّورة ما يجب فعله منذ الآن وتتخذ الإجراءات اللازمة منذ الآن فإن إسرائيل ستسرح وتمرح في سوريا تدميراً لكل ما تملكه سوريا من قوى، بما فيها أسلحة الجيش الحر المتوسطة.

وبعد ذَلكَ كله يقولون: روسيا عرقلت الجهود الدولية لمحاكمة النِّظام السُّوري».

هٰذا كذب، ولٰكنَّهُ في الوقت دليل سوء تقدير وقلة فهم وتدبير.

روسيا كانت نفَّذت الرَّغبة الدولية بحماية النِّظام لا أكثر.

وعلىٰ أيِّ حال أكرر: لا عتب علىٰ أمريكا ولا روسيا ولا بريطانيا ولا قادة العربيكا أنَّهُم خذلوا سوريا ودمروها.

العتب علىٰ الشَّعب العربيِّ والشَّعب المسلم، وقبلهم وبعدهم العتب علىٰ السُّوريين الذين تاجروا بدماء السُّوريين.

IRAQ

الفصل السادس عشر

تقدم الثورة
ومباحثات ما بعد الأسد

صحيحٌ أنَّ جبهات الثَّورة التي تكون ماضيةً في التَّقدُّم والتَّقدُّم المدهش أحياناً تتوقَّفُ فجأةً عندما تتقدَّم الثَّورة علىٰ جبهة أُخْرَىٰ وكأن الغيرة تفعل مفعولها علىٰ نحو عكسيٍّ أو سلبيٍّ، وكأنَّ الثَّورة ثورات وكلٌّ منها ثورةٌ مستقلةٌ[١٧]. ولهٰذا ما ينعكس سلبيًّا علىٰ الثَّورة بطبيعة الحال، ورُبَّما ينعكس

(١٧) .كتب هٰذا المقال في ١٨/٥/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

إيجابيًّا علىٰ النِّظام بالتقاط الأنفاس علىٰ الجبهات الباردة لصالح الجبهات السَّاخنة.

مع ذلكَ فإنَّ الحقيقة المؤكَّدة، وليست الوحيدة، هي أنَّ النِّظام فَقَدَ كلَّ أنواع التَّماسك، ويفتقر إلىٰ التَّوازن الكافي للوقوف أو الصُّمود علىٰ أيِّ جبهةٍ من الجبهات. ناهيكم عن عجزه أصلاً عن التَّقدُّم علىٰ أيِّ جبهةٍ حَتَّىٰ الجبهات الصَّغيرة، ولن نعدِّد الأمثلة فالأمثلةُ أكثر من كثيرةٍ. حَتَّىٰ وجدنا الأسد في الخطاب الأخير ولأول مرة يأتي بهٰذه الصيغة التبريريَّة للهزائم، ومناشدة الشباب والشَّعْب دعم الجيش، والقول إنَّهُ يخوض آلاف المعارك في وقت واحدٍ علىٰ الأرض السُّوريَّة طبعاً، الجيش السُّوري يخوض آلاف المعارك ضد السُّوريين علىٰ الأرض السُّوريَّة!!!

وفي الوقت ذاته حسن نصرالله يقدِّم الخطاب التبريري للهزائم، ولأول مرة في تاريخ خطابات نصرالله يظهر مرتبكاً مكسور الخاطر مطأطئ الرأس يقرأ البيانات من الورقة المكتوبة، ويعترف ضمناً بالهزائم والخسائر ويتحدث عن أكبر انتصار حقَّقه وهو السَّيطرة علىٰ مساحة ثلاثمئة كيلومتر مربع في جبال القلمون، أي ما يعادل منشأةً رياضيَّةً صغيرةً في الجبال أو الصَّحراء!!! ويعزف علىٰ وتر المعركة طويل وطويلة مثلما عزف هو والأسد قبل أسبوع. خطابان متتاليان لنصر خلال أسبوع واحد هما الأولان عبر تاريخه بهٰذه الروح المنكسرة والمتشائمة والمحبطة التي بدت علىٰ ملامحه.

النِّظام حقيقة في حالة انهيارٍ حقيقيٍّ وتفكُّكٍ شبه شاملٍ، رُبَّما وحدها المؤسَّسة الأمنيَّة هي التي تتمتع ببعض التَّماسك، حَتَّىٰ الجيش لا

يوجد جيش، يوجد ميليشيات كل منها تقاتل بطريقتها وأوامرها منها هي ذاتها، ومبادراتها منها هي ذاتها؛ صمودها، انسحابها، تقدمها... كل ذلكَ يتم من دون الالتزام بأي أوامر أو تعليلمات وبتقديرات شخصية خالصة، حَتَّىٰ ليبدو وكأن التواصل منقطع بَيْنَ القيادات وبين المليشيات علىٰ الجبهات.

مخابرات العالم كلها بما فيها الصومال وجيبوتي وموريشيوس وجزر القمر... ترتع علىٰ الأرض السُّوريَّة وتصول وتجول في كلِّ الأرجاء بحريَّة وأريحيَّة ما بَيْنَ مباشرة وبين وكلاء. ولذلك مثل هٰذه التفاصيل ليست سرًّا علىٰ أحدٍ أبداً، لا توجد قوة في الأرض اليوم لا تعرف هٰذه الحقيقة وربَّما بتفاصيل مملة. ولذلك تداعى القطبان الرئيسان في العالم اليوم جديًّا ورسميًّا وعلنيًّا للبحث في مرحلة ما بعد الأسد.

من الوهم الظَّنُّ أنَّ أمريكا أو روسيا أو أيَّ دولةٍ في العالم لها صلة بالموضوع لم تبحث منذ بداية الثَّورة في مرحلة ما بعد الأسد، أو ما بعد النِّظام السُّوري، ومن الوهم أيضاً عدم الظَّن أنَّ أيًّا من هٰذه الدول بحثت الموضوع مرَّاتٍ ومرَّاتٍ كثيرةً. والأمر عينة يمكن أن يقال علىٰ المباحثات الثَّنائية بَيْنَ الدول في موضوع مرحلة ما بعد الأسد غالباً ما تكون أمريكا الطرف الأكثر تكراراً في معظم الثَّنائيَّات.

ما يمكن تأكيده هنا هو أنَّ المباحثات السَّابقة كلها كانت ضربة لازم وواجب أيضاً علىٰ أساسها كانت الحماقات التي ارتكبت كلها علىٰ مدار الثَّورة السُّوريَّة من قبل أصدقاء الشَّعْب السُّوري وأصدقاء النِّظام في آن معاً. لأنها كلُّها

تصورتٌ واهمةٌ وخياليَّةٌ وخاطئةٌ بَنَت عليها مواقفها التي أوصلت الأمور إلىٰ ما وصلت إليه من تعقيد.

علىٰ أي حال، لندع الماضي كله جانباً، مع صعوبة ذَلكَ، ولننظر الآن فيما حدث ويحدث الآن.

أمس ٢٠١٥/٥/١٧م اجتمع وزيرا خارجيَّتي أمريكا وروسيا في وارسو للتباحث في مرحلة ما بعد الأسد تحت العنوان العلني ذاته، أي ليس سرًّا. أي إنَّ الأمور قد أخذت مداها.

الكثيرون قالوا إنَّ القرار قد اتخذ بالقضاء علىٰ الأسد لإنهاء الأزمة السُّوريَّة. ولٰهذا وهم مثل الأوهام الكثيرة التي عششت وتعشش في عقول السُّوريين الثائرين والمحللين السياسيين الذين صاروا نجوماً من دون تمرين.

لم يتخذ أي قرار في هٰذا الشأن. ولا أطيل في ذَلكَ. ولٰكنَّ الوضع هو الذي بلغ مداه والأسد لم يعد يطيق صبراً ويريد تأمين المخرج قبل أن يلقى مصير القذافي، ولا تعنيه الطائفة العلوية ولا الطائفة السكنلوسوكانكالونية. ومثلما يدرك العالم كله هٰذه الحقيقة يدركها الأمريكان والروس الذين هم علىٰ قناعة تامة اليوم بأنَّ الأسد فقد القدرة علىٰ الصبر ولا يفكر الآن إلىٰ في الرحيل وتأمين المخرج الآمن له وربَّما لبعض رجالاته وربَّما من دونهم. ولذلك صار من اللازم اللازب الملحف النظر في مرحلة ما بعد الأسد.

ماذا بحث الطرفان الأكبر في العالم؟ ماذا اقترحا؟ ماذا قررا؟

لا أحد يعلم. ولن يعلم أحد. هي أمور ستبقى طي الكتمان بَيْنَ القطبين. قد يكون عنوان الاجتماع تضليلاً، ما الذي يمنع ذَلكَ؟

علىٰ أي حالٍ لا بُدَّ أنَّهُما بحثا فعلاً في مرحلة ما بعد الأسد، لأنَّ مرحلة ما بعد الأسد كما أشرنا قبل قليل هي التي حكمت سلوكات مختلف دول العالم تجاه الثَّورة السُّوريَّة، وهي التي أدت إلىٰ كل ما هي فيه سوريا من مصائب ونكسات وخراب ودمار... كل ذٰلكَ من أجل أن لا تنتصر الثَّورة، ومن أجل أن يبقى الأسد. لم يستطيع ولم يتقبل أحد أن يدرك أن الأسد انتهى ولا يمكن لقوَّة في الأرض أن تبقيه لا هو لا نظامه. وقد كتبت في ذٰلكَ منذ بدايات الثَّورة، لأنَّهُ منذ بدايات الثَّورة بدا أنَّ الأسد يمشي في طريق الهلاك ووضع الشَّعْب السُّوري أمام الخيار الوحيد هو عدم قبول النِّظام مهما كلفه ذٰلكَ من ثمن... ومع ذٰلكَ الواضح وضوح الشَّمس كله أصرت الدول الإقليمية والأقطاب العالمية والمتعلقة بالنِّظام أن لا يفهموا هٰذه المعادلة.

الأمور اليوم باتت علىٰ وضوح لا يقبل الشك في أنَّ الأسد والنِّظام في حالة موتٍ سريريٍّ وانتهاء صلاحية، وما بقاؤه إلىٰ هٰذا الوقت إلا لعب في الوقت الضَّائع. ولذٰلك لم يعد من بُدٍّ من النظر في مرحلة ما بعد الأسد. هم يعنون مرحلة ما بعد الأسد تمريراً لفكرة أو مسألة بقاء النِّظام، والحل السِّياسي الضامن لبقاء النِّظام تحت شعار سفيهٍ فاقدٍ للشَّرعيَّة والمشروعيَّة والمصداقيَّة وهو المحافظة علىٰ مؤسَّسات الدَّولة... علىٰ أساس أنَّهُم حريصون علىٰ سوريا.

صحيحٌ أنَّ الاجتماع كان أمس إلا أنَّ الترتيب له وإدراك أهميَّته والتَّخطيط له كان منذ أشهر عندما تسرب بطريقة أو بأُخْرَىٰ أنَّ الأسد يوضب حقائب

الرحيل، وأنَّهُ فقد القدرة علىٰ الصبر مع تداعي مؤسَّساته العسكريَّة والأمنيَّة كلها تقريباً.

منذ ذَلكَ الحين حَدَثَ أن تقدَّم الجيش الحرُّ علىٰ مختلف الجبهات تقدُّماً مدهشاً. لم ندر في حقيقة الأمر أكان ذَلكَ تمرداً من الجيش الحر وعدم التزام بأجهزة تحكم الداعمين أم أنَّ الداعمين أدركوا تلك الحقائق فوجدوا أنفسهم أمام التحدي الأصعب وهو إمام إطلاق العنان للجيش الحر. أغلب الظنِّ وفق تصوري أنَّ الداعمين الذين كانوا يلجمون الحر وجدوا أنفسهم أمام الخيار الأخير وهو إطلاق يد الجيش الحر لاحتلال فراغات النِّظام قبل أن تملأها الدَّولة الإسلاميَّة.

تقدم الجيش الحر في وجهٍ من أوجه الفهم ليس إلا خوفاً من تقدم الدولة الإسلامية لتملأ الفراغات مع هشاشة النِّظام وتراجعه الكبير، وهٰذا التَّقدُّم بدفع خارجي وإن كان توقاً وشغفاً من الجيش الحر للتَّقدُّم حَتَّىٰ مع عدم وجود هٰذا التحريض أو الدَّفع الخارجيِّ. وبهٰذا المعنى قال مدير الاستخبارات الأمريكية جون برينان في ٢٠١٥/٣/١٤م: «يجب علينا تزويد المعارضة المعتدلة بالسِّلاح كي لا تسمح لغيرها بالزَّحف إلىٰ دمشق».

هٰذا هو المخطط الأساسي الذي تعمل أمريكا خاصة علىٰ إدارته علىٰ طريق الوصول إلىٰ إدارة الملف السُّوري أو تفويض روسيا به ولا مشكلة عند أمريكا في ذَلكَ طالما أنَّ النَّتيجة هي وضع اليد علىٰ سوريا. حَتَّىٰ إذا سقط النِّظام كانت أمريكا ممسكة بما أمكن من خيوط السياسة السُّوريَّة والقيادات التي ستستلم السلطة.

وهنا لا بُدَّ من التساؤل:

بعد هٰذه التضحيات كلها، والخراب، والدمار، والقتلى، والتَّشرد الذي طال ثمانين بالمئة من الشَّعْب السُّوري... هل بعد ذٰلكَ كلِّه ستقرر أمريكا وروسيا مستقبل سوريا والشَّعْب السُّوري كما يريدون؟

منذ فترة قصيرة وهناك تسريبات وهي بحكم المؤكدة تماماً تقول إن بعض الدول الإقليمية علىٰ رأسها دولة عربية خليجة كبيرة المساحة، والمجتمع الدولي وعلىٰ رأسه أمريكا وروسيا يبحثون عن خمس سياسيين وخمس عسكريين يسلمونهئم زمام السلطة، ويبحثون عن رئيس توافق عليه دول العالم هٰذه، وموافقة السوريين غير مهمة فيما يبدو. وفي السياق تشكل حكومة ورقية اسمها حكومة تكنوقراط علىٰ أساس حياديَّة. وفي هٰذا السياق ستأتي مسودة دستور سوري متوافق عليها من السي آي إي والكي جي بي والشا باك والمو ساد والسو عاد والعاد سو وتفرض علىٰ هٰذا الطقم الكرتوني علىٰ أساس أنَّها اختيار الشعب السوري الحر.

الحقيقة الأكيدة هي المثل الشَّعْبي الشَّائع: «من لا يحضر ولادة عنزته تخلف له كلباً»، ويترافق معها الحكمة الشهيرة: «من ليس لديه مخطط سيكون جزءاً من مخططات الآخرين». هٰذا يعني علىٰ نحو مباشرٍ إذا لم يحضر السُّوريون في صناعة مستقبل ما بعدهم الأسد فإنَّ الآخرين هم من سيرسم مستقبل سوريا وفق مصالحهم وحدهم بكل تأكيد. فهل سيغيب السُّوريون عن صناعة مستقبلهم بعد الأسد؟

والحقيقة المرَّةُ الملازمة لذلك هي أنَّ القيادات التي تمسك الثَّورة، بعد تصفية أو تنحية أو تهميش الشُّرفاء، هي قيادات أنانيِّة تخطِّط في أحسن الظُّنون لمصالحها الشَّخصيَّة بأنانيَّةٍ مفرطةٍ. ولذلك هي علىٰ استعداد لبيع الكرامة السُّوريَّة في المزادات ورُبَّما المزادات العلنيَّة.

الفصل السابع عشر

الإحصاءات الدولية الخرندعية

لا تنخدعوا بمعطيات وسائل الإعلام والمؤسَّسات الدوليَّة وخاصَّةً التَّابعة للأمم المتحدة فيما يخصُّ الأزمة السُّوريَّة خاصَّة وفيما يخصُّ الأوضاع العربيَّة والإسلاميَّة. كلها تضليلٌ وكذبٌ وفبركة وتزويرٌ. لا أبالغ إذا قلت كلها(١٨).

فالرَّجاء الرَّجاء الانتباه والاحتياط وعدم الانجراف وراءها وتمرير تضليلها وتحريفها. هي معلوماتٌ خاطئةٌ وتكرارها يكرِّسها على أنَّها

(١٨) .كتب هذا المقال في ٨/٨/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها.

حقائق فيما هي ليست حقائق. حَتَّىٰ ولو كانت تريد أن تخدم الثَّورة السُّوريَّة بالكذب فإننا لا نريد الكذب، ولا يجوز أن نقبل الكذب. وهي علىٰ أي حال لا تريد خدمة الثَّورة ولا سوريا، وفيما سيأتي سنعرف كيف أنَّها تسعى إلىٰ تقزيم الثَّورة وتحقيرها وتقليل قيمتها. فلا تستخدموا أرقام الأمم النتحدة ولا إحصاءاتها لأنَّهَا بلا مصداقيَّة ولا أمانة، تابعوا الأخبار واحصلوا على الأرقام بأنفسكم.

سأقف فيما يخص الثَّورة السُّوريَّة عند مجموعة من النقاط. ولننظر في الحقيقة.

عداد الشُّهداء متوقِّفٌ منذ سنتين وأكثر من سنتين عند قولهم: «أكثر من مئتي ألف قتيل...». ومنذ ذَلكَ الحين ومختلف وسائل الإعلام تكرِّر هٰذه الخدعة والأكذوبة بقصدٍ أو بلاهةٍ وغباء، والمحللون الفطاحل مثل المهابيل يكررون هٰذا الرقم بهٰذه الطريقة علىٰ مختلف الشَّاشات وفي مختلف المقالات. لا أعرف كيف صاروا محللين سياسيين وهم بهٰذه البلاهة التي تكرر علىٰ مدار عامين وأكثر وكأنَّ كل الضحايا منذ عامين هياكل ورقية أو كرتونية أو مجسَّمات بسكوتيَّة. ألم يخطر في بالهم أبداً أن يجروا أيَّ عمليَّةٍ حسابيَّةٍ صغيرةٍ لمعرفة الفرق بَيْنَ اليوم وقبل أكثر من سنتين؟!

عدد الشُّهداء فعلاً أكثر من مئتي ألف قتيل ولكم بكم؟

بعضهم يلعب علىٰ أوتار اللغة بغباءٍ منقطع النَّظير عندما يهرب من الإحصاء بأن الأكثر من مئتي ألف رقم مفتوح. والحقيقة ليست كذَلكَ. الرقم مغلق وليس مفتوحاً. فإذا كان عدد القتلى في سوريا اليوم يتجاوز النصف مليون

بارتياح وارتياح شديد لأنَّ المؤكد إحصائيًّا أنَّ نحو مليون سوري فقدوا حياتهم منذ أربع سنوات إلىٰ الآن، فلماذا لا نقول أكثر من نصف مليون؟ لماذا نقول أكثر من مئتي ألف؟

إذا انتقلنا إلىٰ الجرحى والمصابين فالمصيبة لا تقل خطورة عما سبق. من بداهات الحوادث والحروب بالعام ورُبَّما المطلق أنَّ عدد المصابين والجرحى دائما يبلغ بالحد الأدنى ضعفي عدد القتلى وثلاثة أضعافهم بالوسطي. يعني هٰذا أننا أمام نحو ثلاثة ملايين مصاب وجريح ومعاق مختلف أنواع الإعاقة. ولا أحد يتحدث عنهم بالطلق وكأنهم غير موجودين علىٰ الإطلاق، لا نعني أن أحداً لا يهتم بهم، ولٰكنَّ الذين يلقون العناية أقل من ١٠% منهم، ولا يزيد عن ٢٠% ورُبَّما لا يزيد عن ٢٠% أو ٢٥%.

فإذا أضفنا المعتقلين إلىٰ الطَّرفين، ولا يقلُّون عن نصف مليون معتقل، أصبح بإمكاننا القول بارتياح أن ربع الشعب السُّوري خارج قوة الحياة.

لا أحد يتحدث في ذٰلكَ بما يجب أن يكون الحديث ولا بأقل مما يجب بألف مرة.

إذا انتقلنا إلىٰ اللاجئين، المشردين، فنحن أمام رقم وحيد صحيح أعلنته مؤسسات الأمم المتحدة المختصة منذ سنة ونصف تقريباً عندما قالت إن نحو ١٨ مليون سوري سيكون تحت خطر المجاعة بعد ستة أشهر تقريبً من ذٰلكَ الحين... بحاجةٍ ماسَّةٍ لمساعداتٍ غذائيَّةٍ.

مع أنَّ هٰذا الرقم معبر بطريقة دقيقة عن حقيقة المأساة وجنونية الوضع السُّوريَّة فإنَّهُ يتم التحايل علىٰ هٰذه الحقيقة والتعتيم عليها وتغييبها بمختلف السبل والوسائل.

لاحظوا معي. منذ سنة ونصف على الأقل بل منذ سنتين من دون مبالغة وصل عدد اللاجئين إلى دول الجوار الثلاث تركيا والأردن ولبنان أكثر من أربعة ملايين سوري أكثرهم من النساء والأطفال. ومنذ أشهر بلغ عدد اللاجئين فقط في هذه الدول الثلاث نحو سبعة ملايين، ولا تقل بحال من الأحوال ستة ملايين ونصف. ولن أقول إنَّ بقية اللاجئين في مختلف دول العالم يصلون إلى المليون علماً أنَّهُم يقتربون من هذا العدد سأقول إنهم نصف مليون تجاوزاً. يعني هناك بالحد الأدنى أكثر من سبعة ملايين لاجئ سوري في مختلف دول العالم. ٩٥% منها في دول الجوار الثلاث. ومع ذلكَ منذ سنتين أيضاً توقف عداد اللاجئين لدى مؤسَّسات الأمم المتحدة عند أكثر من أربعة ملايين... منذ سنتين وأكثر والأمم المتحدة ومؤسَّساتها ووسائل الإعلام والمحللون يقولون: أكثر من أربعة ملايين لاجئ!!!

طبعاً، لم نقترب هنا أبداً من نحو ثمانية ملايين سوري مشرَّد ونازح داخل الأرض السُّوريَّة. هؤلاء أيضاً وحدهم مأساة منقطعة النَّظير.

هذا ليس محض هروب من المسؤوليَّة وهروب من المواجهة وإنَّما هذا تقزيم لعدد الضحايا وتعتيم على حجم الجريمة وإزاحة النَّظر عنها. هذه جريمةٌ على جريمةٍ لأنَّهَا تريد أن توحي بأنَّهُ لا يوجد مشكلةٌ في سوريا، لا جديد يحدث في سوريا، منذ سنتين وأكثر والعدد كما هو، لا شيء جديد، إذن الأزمة مستقرة، والأمور بخير...

المسألة لا تتوقف هنا بطبيعة الحال. المسألة شائكة ومعقَّدة وطويلة أكثر من ذلكَ بكثير. نحن نقف عند مشهد أو مقطع من

مشهد واحد من مشاهد التعتيم على الثَّورة السُّوريَّة وتغييب الحقيقة. ومع ذَلكَ فإنَّ ما نقف عنده من هٰذا المقطع من هٰذا المشهد أقل بكثير من حقيقة المشهد الدولي التَّضليلي الذي تشترك في مختلف الأطراف ما بَيْنَ انجراف وانسياق وهبل واستهبال.

القول بأنه غير مقصود قول مدحوض مردود. والمشكلة في الببغاوات الذين يرددون من دون وعي ولا إدراك ويزعمون أنَّهُم يعلمون.

أنا لا يعنيني هنا تقصير المجتمع الدولي والعربي على نحو الخصوص تجاه اللاجئين في الداخل والخارج، وهو أيضاً تقصير مقصود متعمد، وحرب معلنة على الشعب السُّوري عقاباً له على ثورته... بقدر ما يعنيني التعامي المدروس المقصود للحقائق والمعطيات التي تنبئ عن لؤم بشع وقذر ومخططات قذرة وبشعة تجاه الشعب السُّوري سيَّان أكان على صعيد الضغط باتجاه حل لا يرضي الشعب السُّوري أو تلميع النِّظام وإعادة تدويره على طريق ما يسمى الحل السياسي الذي لن ينجح ولن ينجح ولو أثمر الصفاف تيناً.

البشاعة المقترنة بهٰذه التجاهلية القذرة هي محاصرة الشعب السُّوري المشرد واللاجئ في كل شيء. نحو سبعة ملايين سوري لاجئ في دول الجوار الثلاث يقولون أنهم أربعة ملايين ومع ذَلكَ يعيشون، عموماً لا مطلقاً، ممنوعون من العمل، ممنوعون من الحركة، وأحياناً ملاحقون، ولا مساعدات إغاثية ولا إنسانية ولا يجرؤ أحد على تحويل مبلغ زهيد لسوري خشية الاعتقال بتهمة دعم الإرهاب!!!! بل إنَّ بعض شركات تحويل الأموال اتخذت قرار عدم تحويل أموالٍ لأيِّ سوريٍّ.

وفي أوروبا، ولا ننكر إنسانيتهم التي لا تقارن مع الدول العربيَّة، ورقيهم الذي يستحق التقدير مع كل ما نسمع عن حركات اليمين الأوروبي المتطرف. في أوروبا لا تصل نسبة المهاجرين السُّوريين أكثر من عشرين بالمئة بل أقل من ذَلكَ من نسبة المهاجرين من إفريقيا وآسيا التي لا تعاني شيئاً بالمطلق والعام والمقارنة مع سوريا، ومع ذَلكَ فإنَّ أكثر الإجراءات الاحترازية تتخذ ضد السُّوريين تحديداً.

السُّوريون تحديداً لا يمنحون تأشيرة دخول إلىٰ دولة أوروبية مهما كانت الأسباب، بل إن وزارة الخارجية الألمانية قررت منذ يومين عدم منح السُّوريين تأشيرة دخول إلىٰ ألمانيا!!!

ألمانيا فعلت ذَلكَ منذ يومين. ولٰكنَّ باستثناء بعض قليل من دول آسيا غير العربية، ودول قليلة من إفريقيا غير العربية، وبعض دول أمريكا اللاتينية... فإنَّ الدول العربية عامة لا تسمح للسوريين بدخولها إلا باستثناءات قليلة، ومعها بقية دول العالم!!!

ماذا تريدون من السُّوريين؟

بربكم قولوا: ماذا تريدون من السُّوريين؟

تحاربون ثورتهم، تحاربون الهاربين، تحاربون الباقين، تكذبون في المعطيات والأرقام، تمنعون عنهم المال، والطَّعام، تمنعونهم من العمل، تخنقون في صدورهم الأمل، يهربون من الموت بقوارب الموت فتترصدون السُّوريين دون خلق الله أجمعين... فماذا تنتظرون من السُّوريين بعد ذَلكَ؟ ماذا تنتظرون؟

كتبت في منشور قصير في أواخر السَّنة الأولى من الثَّورة السُّوريَّة قائلاً: سيحتاج السُّوريُّون خمسين سنة من الكلام ليتحدثوا عن ثورتهم... ولن يصدق أكثر النَّاس كثيراً مما سيقوله السُّوريون. كان ذَلكَ مع أواخر السَّنة الأولىٰ من الثَّورة. كان عندما لم يكن هناك مادة للكلام أكثر من واحد بالمليون مما صار بعدها. فكيف سيكون الحال بعد هٰذه السنوات؟؟!!!

allagro@yahoo.com

صدر من كتب المؤلف

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.

- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين .. دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العرب أعداء أنفسهم؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.

- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.

- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.

الفهرس

الإهداء ٠٠٥
مقدمة الكتاب ٠٠٧
الفصل الأول: مصائب الثورة السورية الخمس ٠١١
أولاً: النظام ٠١٣
ثانياً: قيادات الثورة ٠١٤
ثالثاً: أدعياء المعارضة ٠١٦
رابعاً: المجتمع الدولي ١٧
خامساً: للمجتمع العربي ١٩
الفصل الثاني: لماذا تسد الأبواب أمام السوريين؟ ٠٢١
الفصل الثالث: تباً لكم أيها البشر ٠٢٥
الفصل الرابع: السوريون يذبحون والعالم يريد تعليميهم الرقص ٠٢٩
الفصل الخامس: العالم اللاإنساني واللهو بمأساة السوريين ٠٣٥
الفصل السادس: الأمم المتحدة تفيث النظام ٠٣٩
الفصل السابع: هستيريا أوروبية من اللاجئين السوريين ٠٤٧
الفصل الثامن: ويستمر الكذب على السوريين ٠٥١
الفصل التاسع: ويستمر دي ميستورا في الكذب على الثورة ٠٥٧

الفصل العاشر: هل تقوم تركيا باجتياح سوريا؟ ٠٦١
الفصل الحادي عشر: الثورة السورية والتهريج الأوبامي ٠٧١
الفصل الثاني عشر: هل قلبت أمريكا الطاولة؟..... ٠٧٩
الفصل الثالث عشر: التناقض الأمريكي يصل إلى الذروة..... ٠٨٧
الفصل الرابع عشر: هل يئست إسرائيل من بقاء الأسد؟ ٠٩٣
الفصل الخامس عشر: ارتباك عالمي بسبب تقدم الثوار ٠٩٩
الفصل السادس عشر: تقدم الثوار ومباحثات ما بعد الأسد ١٠٥
الفصل السابع عشر: الإحصاءات الدولية الخزندعية..... ١١٣
صدر من كتب المؤلف ١٢١
الفهرس ١٢٧

ALL SHOOTS ON SYRIANS AND THEIR REVOLUTION

Political Study

BY BROF. Dr

EZZAT ASSAYED AHMAD

Publisher

The Araboc World for publishing

Amman. 2015

Emil: sameah3@gmail.com

ALL SHOOTS ON SYRIANS AND THEIR REVOLUTION

Historical And Political Study

BY BROF. Dr

EZZAT ASSAYED AHMAD

الدكتور عزت السيد أحمد

الكل يُطلق النار على السوريين وثورتهم

قراءة سياسية تاريخية

ALL SHOOTS ON SYRIANS AND THEIR REVOLUTION
Historical And Political Study
By Prof. Dr. Ezzat Assayed Ahmad

العربي
The Arab World for Publishing

هذا الكتاب

من لم يطلق النار بعد على السوريين وثورتهم؟ سؤال مليئ بالجد ليس فيه أي مزاحٍ أو سخريةٍ من من أنظمة العالم وأكثر شعوب العالم لم يطلق النار بعد على الشعب السوري وعلى ثورته؟! الحقيقة المرة والقاسية التي لم يدركها الكثيرون أن نيران الحقد فتحت على السوريين وثورتهم منذ الأيام الأولى للثورة، وليس بعد حينٍ قليلٍ أو كثيرٍ من انطلاقتها. حتى استشعر بعض من السوريين منذ بدايات الثورة أن هناك فوارق واضحةً في الاهتمام بالثورة السورية من قبل الإعلام العربي على نحوٍ خاصٍّ... وتساءلوا عن السبب.

العرب أنظمةً وشعوبًا أول من أطلق النار على السوريين والثورة السورية... بل أقول ولا أبالغ إن الأنظمة العربية والشعب العربي هم أكثر واشد من أطلق النيران على السوريين وثورتهم وبعدهم سارت أنظمة الغرب والشرق في إطلاق النار.

الناشر